■ الفصل الأول:

قضايا نظرية وتطبيقية

❖ يتناول هذا الفصل المفاهيم الرئيسية للدراسة (مفهوم الخطاب ، مفهوم الشباب ، مفهوم الحياة اليومية ، مفهوم الربيع العربي).

❖ التوجيهات الحديثة في الأنثروبولوجيا اللغوية (ماهية الأنثروبولوجيا اللغوية ، تاريخ التوجيهات النظرية في الأنثروبولوجيا اللغوية، الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم اجتماع اللغة، التوجيهات النظرية لخطاب الحياة اليومية).

تمهيد:

يعد الاهتمام بالسياسة لدى الشباب مرتبطـــا فى الغالب بالمشاركة السياسية Political Participation، والتي يقصد بها «آليات التعبير عـن الـرأي والتـأثير فى منظومة صناعة القرار الحكومية»، ويقصد بالآليات هنا كل أدوات التأثير السياسي الرسـمية؛ كالتصـويت فى الانتخابـات والاسـتفتاءات والانضـمام للأحـزاب والمشاركة فى فعالياتهـا. ولمـا كـان النظـام السياسـي فى العـالم العربـي لا يسـمح بالأنشطة الأخرى كالمظاهرات السلمية فقـد كانـت المشـاركة فى مصـر وتـونس قاصرة فقط على كل ما هو رسمي وفى حده الأدنى والشكلي، وبما يعنـي أن الـذين تشغلهم السياسـة Politics وصـراعاتها هـم فقـط الـذين يشـاركون فى أى نشـاط سياسي رسمي لا يتعدى الصور التى تحظى بموافقة السلطة، بدءًا من الانتخابات العامة وحتى المشاركة المحدودة فى فعاليات الأحزاب. وتشـير البيانـات فى هـذا الصدد إلى انخفاض شديد فى نسبة المشاركة السياسية من جانـب الشـباب فى كـل من مصر وتونس قبل الثورة المصرية والتونسية؛ حيث بلغت النسبة فى مصر ٣٠٪ وفى تونس ٢٠٪ (وفـق تقـارير الأمـم المتحـدة) (uncif.2006)، وهـذا يعنـي أن قطاعًا كبيرًا من الشباب يحجم عن العمل السياسي والمشاركة السياسية. كمـا أن أنشطة المعارضة السياسية كانت مقيدة إلى حد كبير بما يشـيع حالـة مـن الخـوف لدى كثير من الشباب عند الانخراط فى النقد السياسى، كما أن نظرة المجتمـع إلى السياسة والاهتمام بها كانت أمـرًا غيـر مرغـوب فيـه، ويترتـب عـلى ذلـك ابتعـاد الشباب عن الاهتمام بالسياسة والخوض في الحديث عنها.

ولكن مع اندلاع الاحتجاجات والثورة فى تونس ومصر وصولاً إلى هروب بن علي وتنحي مبارك بدأت مرحلة جديدة فى حياة المجتمعَين المصـري والتونسـي؛ فالثورة Revolution فى علم الاجتماع وعلم السياسة تعني تغييرًا جذريًّا فى علاقة الشعب بالسـلطة يترتـب عليـه تغيـرات جوهريـة اجتماعيًّـا واقتصـاديًّا وسياسـيًّا وثقافيًّا، وقد شهدت مصر وتونس مظاهر لهذا التغيير تمثَّل فى الحشود الجماهيرية

الهائلة المؤيدة للتغيير والمطالبة بالإصلاح، ومظاهر العنف المصاحب لهذا الحدث والتي أودت بحياة المئات وخلفت آلاف المصابين من الشباب، وخروج مبارك وبن علي وحاشيتهما من السلطة التنفيذية، وانهيار تنظيم الحزب الحاكم بالكامل فى البلدين، والذي كان يضم جماعات المصالح والنخب السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتمحورة حول السلطة، واندلاع المظاهرات والاعتصامات لمطالب فئوية واسعة النطاق وغير مسبوقة تعكس قدرًا كبيرًا من الشعور بالظلم لدى فئات اجتماعية عانت من غياب العدل الاجتماعي.

لقد كان الشباب عنصرًا فاعلاً فى كل هذه الأحداث، ومع ذلك فإن النتائج التي أسفرت عنها ثورتي مصر وتونس حتى الآن لم تفرز حراكًا سياسيًا حقيقيًا يعطي للشباب فرصة أكبر فى التأثير فى الحكومة ومواضع صنع القرار، وفى ظل أجواء الانفتاح السياسي التي حدثت فى مصر وتونس أصبحت السياسة هى مادة الحديث اليومي الشائع بين الشباب فى مصر وتونس، فلم يعد هناك خوف كما كان يحدث من قبل، وأصبح الشباب يعبرون عن انتقاداتهم بوضوح، كما أن موجات العنف وعدم الاستقرار بعد الثورة جعل الشباب أكثر اهتمامًا بالأوضاع السياسية، ولأول مرة أصبح الشأن العام مرتبطًا بالشأن الخاص، وفى هذا الصدد يشير الدكتور سعيد المصري إلى أن الثورة أدت إلى «انشغال المصريين الشديد بالسياسة فى مفارقة تدعو للدهشة، فالشعب الذى عاش طويلاً تحت حكم الاستبداد غير مهموم بالشأن العام أصبح بين عشية وضحاها أكثر اهتمامًا بما يدور على المسرح السياسي، فلا يخلو حديث بين أي اثنين من المصريين فى أي وقت من الكلام عن السياسة سواء مع الثورة أو ضدها، ومع حكم العسكر أو ضده ومع الإسلاميين أو العلمانيين ....وهكذا». (**سعيد المصرى، ٢٠١٣، ١١: ٣٢**).

والآن وبعد حدوث الثورات العربية فى مصر وتونس تغير معنى ومضمون الانشغال بالسياسة، فلم يعد ذلك مقصورًا على الانتخابات والمشاركة فى الأحزاب، وإنما تعدى ذلك إلى كل صور التعبير الحر عن الرأي فى المظاهرات

والاحتجاجات والمشاركة فى الحملات السياسية، ويتخلل كل ذلك أحاديث مكثفة فى السياسة والقضايا السياسية فى الحياة اليومية.

كما أن الثورة خلقت حالة فريدة؛ ففي السابق كان هناك نوع من الرهبة في مجرد الحديث عن السياسة أو الإشارة إلى الرموز السياسية، إلا أن الظروف الثورية التي مرت بها المجتمعات العربية جعلت السياسة هي محور اهتمام كافه أعضاء المجتمع، بحيث أصبح صغيره وكبيره لا يتحدث سوى عن الحياة السياسية والأوضاع الراهنة والمستقبلية التي تنتظرها بلادنا العربية بعد الثورات التي قادها وفجرها الشباب، وبالتالي أصبحت السياسة والقضايا السياسية هي الشغل الشاغل للشباب، وهو ما يظهر في أحاديثهم العادية عن أنفسهم وعن مجتمعهم.

وأضحت السياسة مظهرًا من مظاهر حدوث التوتر والصراعات. بل وأيضًا حدوث الاستقطاب اللغوي، فما أن يبدأ الناس حديثهم عن السياسة حتى تظهر الانشقاقات اللغوية والفكرية؛ فمثلاً حاليًا في مصر يستخدم الناس بعض المفردات لتحديد التوجهات السياسية كأن يسأل الفرد غيره (أنت مع تسلم الأيادى أم تتشل الأيادي)، هذا للتفرقة بين الموقف المؤيد والموقف المعارض لما حدث في مصر بعد ٣٠/ ٦، وبالتالي أضحت السياسة جزءًا لا يتجزأ من خطاب الحياة ،اليومية وخطاب الحياة اليومية وفقًا لتعريف الدكتور «أحمد زايد»: «أنه الأحاديث والألفاظ والأمثلة والأقوال التي يتبادلها الأفراد في تفاعلهم في المواقف اليومية»، إن هذا التعريف يضم كافة الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، إلا أن هذا البحث ينطلق من الموضوعات السياسية. وفي السابق يُلاحظ أن أكثر مستخدمي هذا الخطاب كانوا من الشباب المثقفين المنشغلين بأحوال البلاد وأوضاعها السياسية، ولكن اليوم أصبحت القضايا السياسية داخل خطاب الحياة اليومية لا يقتصر تواجدها عند شريحة اجتماعية بعينها، بل تتواجد على مستوى الشرائح الاجتماعية عامة، وقد يختلف

هذا التواجد من حيث الموضوع أو الخصائص والسمات.

ومن الواضح أن دراسة وتحليل خطاب الشباب كما يظهر في الكلام العادي يعكس مدى ارتباط الكلام بالسياق الاجتماعي والثقافة، وهذا جُلُّ ما تهتم به دراسات الأنثروبولوجيا اللغوية التي تهتم بالتركيز على اللغة لا باعتبارها مجالاً ثانويًا، بل باعتبار أن تحليل الكلام أمرٌ يقود إلى مجالات سوسيولوجية وأنثروبولوجية أخرى؛ مثل: التفاعل المباشر، والتنشئة الاجتماعية، وأنثروبولوجيا المعرفة، والتغير الاجتماعي، وآفاق المستقبل وتحدياته، ويكشف رؤيتهم للعالم، فتنشأ المعاني من خلال الخطاب الخاص بجماعة معينة وفي فترات معينة، حيث يقدم الخطاب صورة عن الذات والعالم أو علاقة الذات بالعالم، ويقدم كل مستوى من مستويات تحليل هذا الخطاب موقفًا ذاتيًا يتبناه الأفراد، ويختلف هذا الموقف وفقاً لقوة هؤلاء الأفراد. (Gavye.N.460.50)

وبناءً على ذلك يسعى هذا البحث إلى دراسة خطاب الحياة اليومية الذي يمتلئ بموضوعات كثيرة جدًا، ومساحة السياسة ليست بالقليلة، وهذا يحتاج إلى دراسة مقارنة بأدوات الأنثروبولوجيا اللغوية على عينة من الشباب فى مصر وتونس.

وفي ضوء ما تقدم يأتى الهدف الرئيس للبحث؛ وهو التعرف على أبعاد وملامح الخطاب اليومي لدى الشباب فيما يتعلق بالشأن السياسي في مصر وتونس ومضمونه وقضاياه، وخصائصه، ومصادر تشكله، ومن ثم دراسة ما يشغل بال هؤلاء الشباب فيما يتعلق بالشأن العام، وتقييم الشباب لواقع الثورة بإنجازاتها وإخفاقاتها في ظل التحديات التي تواجهها والمخاطر المحدقة بها، وما الذي يحلمون به في ظل الأوضاع التي يعيشونها وتوجهاتهم إزاء تطورات أوضاع بلدانهم بعد الثورة، واستشرافهم لمستقبلها، والوقوف على توقعات الشباب من ثورات الربيع العربي وما يمكن أن تحققه في المستقبل سواء على الأصعدة العامة أو ،الفردية وكيف ينعكس هذا فى خطاب الحياة اليومية.

وللتوصل لهذا الهدف الرئيسي يتعين علينا فى البداية تحديد بعض المفاهيم

الرئيسة للبحث و الابحار فى التراث الأدبي للأنثروبولوجيا اللغويـــة الذي ينير طريقنا نحو هذا الهدف.

أولاً المفاهيم:

تستند الدراسة إلى مفاهيم رئيسة؛ وهى مفهوم الخطاب، مفهوم الحياة اليومية، مفهوم السياسة، مفهوم الشباب، وذلك على النحو التالي:

١ - مفهوم الخطاب:

حظي موضوع الخطاب في السنوات العشرين الأخيرة باهتمـام علمـي كبيـر، وإن كانت معظم دراسات الخطاب تهتم بالشق السياسي، إلا أنها تشعبت بعد ذلك إلى الاهتمام بأنواع الخطـاب واختلافاتهـا، فهنـاك الخطـاب الـديني والإعلامـي وغيره...، وفي ظل دراسة الخطاب تتعـدد الأطُـر المعرفيـة والفكريـة التـي تقـرأ وتعالج وتحلل الخطاب بتعـدد ماهيـة ودور ووظيفـة الخطـاب ومـدى ارتباطـه بالواقع المعاش، وعلى الرغم من ذلك نجد أن خطاب الحياة اليوميـة لم يلـقَ مثـل هذا الاهتمام، فهو حديث زمني عن أنواع الخطابات الأخـرى، ويرجـع الاهتمـام بخطاب الحياة اليومية المتداول بين الشباب لأهمية هذه الشريحة العمريـة داخـل البناء السـكاني لأي مجتمـع، ذلـك أن الشـباب يمثـل قطاعًـا فـاعلاً فى الحاضـر والمستقبل، ويمثل أكثر الفئات إقبالاً على كل جديد، وتكمن أهمية دراسة خطـاب هـذه الشـريحة إلى ثلاثـة عوامـل: أولهـا أنهـا تمثـل القطـاع السـكاني الغالـب فى مجتمعات العالم الثالث، وهم المتحملون لأعباء العمليـة الإنتاجيـة فى المجتمـع، وعلى أكتـافهم تُلقـى مسـئولية اسـتمرار المجتمـع، وثانيهـا: أن الشـباب يمثلـون الشريحة العمرية الأكثر احتياجًا لعطاء المجتمع وإيجابياته، وثالثهـا: أن الشـباب يمثلون الشريحة الأكثر حساسية للتغير الاجتماعي والثقـافي في المجتمـع. (آمـال كمال، ٢٠٠١، ٢٢).

يعتبر مفهوم الخطاب من المفاهيم الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية، فقـد

نشأ مفهوم الخطاب في مجال اللغويات والسيموطيقيا، ولكنه انتقل إلى ميدان العلوم الإنسانية؛ مثل: الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والتحليل النفسي، والعلوم السياسية، الأمر الذي حول المفهوم إلى مفهوم محوري في الدراسات المعاصرة، ولقد أدى هذا التوسع في استخدام مفهوم الخطاب إلى أن يفرض كل حقل معرفي- على المفهوم -مسلماته وإشكالاته، بحيث صار المفهوم يتسم بالنسبية والاختلاف الشديدين، والخطاب في اللغة هو الكلام أو الرسالة. **(المعجم الوجيز، ١٩٩٣، ٢٠٢)**

وقد ورد الخطاب بتعريفات متنوعة فى ميادين عديدة بوصفه فعلاً يجمع بين القول والفعل، فهذا من سماته الأصلية، وليس فى هذا تشتت بقدر ما فيه من غنًى وسعة فى التصنيف، وقد ورد لفظ الخطاب عند العرب قديمًا كما ورد عند الغربيين مع درجات من التفاوت أو التقارب في معناه.

عند العرب:

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية فى عدة مواضع؛ إذ ورد فى القران الكريم بصيغ متعددة، منها صيغ الفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ ، وفى قوله تعالى عن داوود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ ، وقد عدَّ الرازي صفة فصل الخطاب من الصفات التي أعطاها الله تعالى لداوود معتبرًا إياها من علامات حصول قدرة الإدراك والشعور، والتي يمتاز بها الإنسان على أجناس العالم الأخرى من الجمادات والنباتات وجملة الحيوانات. **(عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤، ٣٥)**

ومن جانب آخر فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن لفظ الخطاب قد ورد أكثر ما ورد عند الأصوليين انطلاقًا من أن الخطاب هو الأرضية التى استقامت أعمالهم عليها، بل كان هو محور بحثهم؛ فقد تردد كثير من اشتقاقات مادة خطب في مواضع متعددة عندهم، ومن أبين الأدلة على ذلك إيرادهم اسم الفاعل مخاطِب واسم المفعول مخاطَب بوصفهما طرفي الخطاب.

غير أن البعض قد أغفل تعريفه، وقد يكون ذلك لبداهته عندهم وعند غيرهم فى هذا الوقت، فى حين عرض البعض الآخر له مثلما فعل «الآمدي»؛ فقد عرَّف الخطاب تعريفًا بيِّنًا بعد أن وعى بأن التعريف هو المنطلق لمعرفة الأحكام الشرعية؛ إذ يرى أنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه، بيد أنه يخرج فى تعريفه هذا العلامات غير اللغوية؛ إذ لا يعتد باستعمالها فى الخطاب، وقريب منه ما فعل الجويني أيضًا بقوله أن الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق واحد فى حقيقة اللغة، وهو ما به يصير الحي متكلمًا بالرغم من أنه لم يتجاوز فى كلامه تصنيف الخطاب وتثبيت مفهومه بجانب المفاهيم الأخرى المقاربة له، أما من ناحية صيغة لفظ الخطاب فهو أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابًا ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة على الاسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به وهو الكلام. (**عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤، ٣٦**)

عند الغربيين:

يشير لفظ (Discourse) الذى ينحدر من الأصل اللاتيني (discursus)، والذي يعني الجري باتجاهي الأمام والخلف إلى المناقشة او المحادثة أو الخطبة، كما أنه يدل على الشكل الذى تأخذه سلسلة من التعبيرات والأحكام، وكذلك الطريقة التي تأتي بها المعرفة للوجود، لذا يمكننا أن نتحدث عن خطاب علمي أو ديني أو شعري، ويصف الخطاب أيضًا تلك الممارسات المحمومة بمجموعة من القواعد التي ينشئها نظام أو نسق خاص من المقولات كشكل من أشكال المعرفة مثل الطب وعلم النفس والأحياء. (**محمد صفار، ٢٠٠٥، ١٠٠**)

ومصطلح (Discourse) فى الثقافات الغربية يدل على منظومة البنى اللغوية الملفوظة والمكتوبة التى يستخدمها الفرد لإيصال رسالة واضحة إلى متلقٍّ محددٍ بهدف تعديل سلوكه أو التأثير فيه، فضلاً عن مجموع وحدات أيٍّ من مظاهر

التعبير الإشارية والإيمائية والصورية الأخرى التي تخضع مظاهرها الخارجية وتكويناتها الداخلية لقواعد محددة قابلة للتنميط. (عصام نجيب، ١٩٩٨، ٧٧)

وفى الأدبيات الحديثة ورد مصطح خطاب غالبًا ولأول مرة عند هايمز، بيد أن مفهوم الخطاب ناله التعدد والتنوع، وذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليها الباحثون؛ فقد انطلق « قيوم» من الثنائية التى أصبحت معهودة منذ سوسير أي اللغة والكلام التي تكون اللسان، ويفضل قيوم استعمال كلمة (Discourse) عوض كلمة (Parol)؛ ذلك ليؤكد على ما يكتسبه الإنجاز اللغوي من أوجه ربما لا يحويها لفظ كلام مباشرة مثل الوجه الكتابي، الحركات الجسدية، السياق، ويرتكز في تصنيفه على نظرته إلى اللغة بوصفها النظام السابق على الخطاب، فهي موجودة بالقوة فى حين أن الخطاب هو ما يوجدها بالفعل. (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤، ٣٧)

ويتكون الخطاب في نظر «ميشيل فوكو »من مجموعة المنطوقات أو الملفوظات، وتتكون المنطوقات من علامات أو إشارات لها دلالة مختلفة، وهي تسرد وفق قواعد معينة، وتكون المنطوقات بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية؛ حيث يشكل الخطاب نظامًا فكريًا يتضمن منظومة معينة، Discursive Formation من التشكيلات الخطابية، من الواقع الاجتماعي، ولا يمكن لنا فصل مفهوم الخطاب عن مفهوم اللغة رغم الفارق الأساسي بينهم، فإذا كانت الخطابات مجموعات منطوقية متناهية، فإن اللغة نظام مفتوح ومحكم بالاختراق، وإن الخطاب والمنطوق والتشكيلة الخطابية يتنافى وما تعودنا على تسميته فى إطار تاريخ الفكر بالنص والأثر والقضية والجملة والمجال العلمي أو الفرع العلمي، فهذه المفاهيم كلها فى نظر فوكو لها علاقة بوهم الأفكار الاتصالية، وما يريد تأسيسه هو تاريخ القطائع والانفصالات، لذلك اعتمد على مفهوم الخطاب كحدث تاريخي يطبعه الانفصال والقطيعة. (الزواوي بغورة، ٢٠٠٠، ١١١)

بالتالي يرى فوكو أن الخطاب هو النصوص والأقوال كما تعطى بمجموع

كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البياني، كما تعرفه بعض الأدبيات البنيوية بأنه الطريقة التي تشكل بها الجمل نظامًا متتابعًا وتسهم به فى نسق كلي متغاير ومتحد الخواص، وعلى نحو يمكن معه أن تتألف النصوص نفسها فى نظام تتابع لتشكل خطاب أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد. (حميده سميسم، ١٩٩٨، ١٠٩)

ويستخدم مفهوم الخطاب فى علم اللغة بمعانٍ ثلاثة: الأول الإشارة إلى الطريقة التى تشكل بها الجمل نظامًا متتابعًا تسهم به فى نسق كلي متغاير ومتحد الخواص لتشكل نصًّا مفردًا، الثاني الطريقة التي تتألف بها لتشكل خطابًا ينطوي على أكثر من نص مكتوب، الثالث رؤية أيديولوجية، ولا تخرج هذه المعاني عن المعنى اللغوي للخطاب بأنه كلام أو رسالة، وسواء كان نصًّا أو كلامًا ملفوظًا أو علاقات، فإن الخطاب ليس قولاً أو كلامًا مرسلاً إنما هو كلام له نظامه الخاص، كما أنه لا ينفصل عن السياق التاريخي الذي يظهر فيه. وفى ضوء هذا التحليل فإن دراستنا تنظر إلى الحياه اليومية بوصفها خطابًا يمكن إخضاعه للدراسة والتحليل مثل الكلام المكتوب أو المنطوق. (أحمد زايد، ٢٠٠٢، ١٩٤، ١٩٥)

وقدمت مرحلة ما بعد الحداثة اتجاهات جديدة سيطرت على الخطاب السائد في المجتمعات الغربية، اتسمت بالنزعة التحليلية واهتمامها بالمناهجية سواء كان تحليل اللغة والمعاني والرموز أو تحليل السياق الاجتماعي والثقافي أو وقائع الشعور، مع رفضها للتركيبات الفكرية الهائلة والمذاهب الفلسفية الضخمة والتعميمات الواسعة والأنظمة الفكرية الجامدة، كذلك إيمانها الشديد بتعقد الواقع وتعدد المبادئ والتباس الحقيقة، مع اهتمامها أيضًا بالإنسان وتفكيرها في مصيره وإنقاذ قيمه. (David Havery.1980) .

وتنقسم الدراسة الفلسفية العامة للغة ومستويات تحليلها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: المستوى النحوي، ويتعلق بدراسة العلاقات (كلمة/ لفظ/ مفهوم)

تركيبها وبنائها النحوي أو الصرفي وغيرها من المسائل الفنية فقط، دون الاهتمام بمستخدمي تلك العلامات أو سياقاتها المختلفة.

ثانيًا: المستوى الدلالي، وينحصر في الاهتمام بمستخدمي تلك الألفاظ والكلمات؛ فالتركيز حول العلامة والدلالة الخاصة بها بعيدًا عمَّن يستخدمها وبعيدًا أيضًا عن سياقها، ومن خلال وضع قواعد وتعريفات ومصطلحات دقيقة للعلامات؛ محددة معانيها الصحيحة بعيدًا عن الاستخدام العادي في اللغة لمناقشة اللغة الأولى ووصفها للوصول إلى دلالاتها عبر بعض القواعد التي تحدد معنى أو دلالة الجمل والعبارات وفي إطار النسق اللغوي.

ثالثًا: المستوى التداولي أو البرجماتي، وهو عبارة عن دراسة تجريبية لعناصر ثلاثة يمكن التمييز بينهم في نطاق عملية استخدام أي لغة، ألا وهي العلامات في سياقاتهم الخاصة، أو بعبارة أخرى المحاولة العملية لملاحظة وتحليل ظواهر الأداء اللغوي في السياقات المختلفة.

كما يبحث هذا المستوى العادي للغة، ويتعدى هذا المستوى كلاً من المستويين السابقين، فتصبح وحدة التحليل هنا هي الخطاب ككل باعتباره رسالة وليس الكلمة أو الجملة أو الفقرة، وكأن السياق هو المرجع أو الإطار Massage المرجعي للقول الذي يحاول فيه المتلقي إدراك مادة القول، ولا تكون الرسالة ذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ،ووسائله وهنا بدأ التركيز على النص وعلى القارئ أو المتلقي وليس المرسل أو النص باعتباره وثيقة تاريخية، وأصبح معنى أي خطاب لا يكمن فى مقصد المؤلف، بل في بنية النص؛ فالقارئ حر في تفكيك نواة أو بنية النص أو الخطاب. (**أميمة مصطفى عبود، ورقة غير منشورة : ١٢**)

فالاتجاه البرجماتي يتعامل مع اللغة كظاهرة اجتماعية واتصالية وخطابية، وأنها وسيلة تواصل اجتماعية دون إهمال المظهر الدلالي، فاللغة هنا ليست نسقًا من الدلائل والرموز، إلا أنها تقوم بوظيفتها التواصلية الرئيسة، فاللغة هنا أداة رئيسة

للتواصل البشري، فمن خلال التواصل والاتصال يتم إبلاغ المعلومات من المرسل إلى المتلقي بواسطة اللغة، فالنص أو الخطاب لا يستمد سلطته من خصائصه اللغوية فقط، وإنما من الشروط الاجتماعية، لإنتاج هذا الخطاب عن طريق العبارات والألفاظ والإقناع والتأثير والتعبئة ومشروعية الكلمات، وهذا يرتبط بمن يمارس سلطة إلقاء الخطاب وعلاقته بمن يخضع له، ويفترض ذلك ضمنًا أن علاقات التواصل هى دائمًا علاقات سلطة تتوقف شكلاً ومضمونًا على السلطة المرئية والسلطة اللامرئية أو الرمزية لذوات ومؤسسات تدخل في تلك العلاقات. (بيبربورديو، ١٩٩٠، ٩٥)

٢- مفهوم الحياة اليومية:

استخدم مفهوم الحياة اليومية في الإنجليزية مبكرًا في القرن السابع عشر للإشارة إلى طرق الحياة المستمرة مثل روتينيات العمل والسلوك الشخصي، كما يشير إلى عناصر الثقافة مثل الملبس والديكور ومرادف الحياة في الإنجليزية في القرن السابع عشر مفهوم «Quotidian» بمعني يومي، بالإضافة إلى استخدامات المفهوم المبكرة في الفرنسية واللاتينية، ويستخدم مفهوم الحياة اليومية في النظرية الاجتماعية ليشير إلى المعرفة العادية والطرق الروتينية في الحياة. (Turner. B. 2006. 54)

وظهر الاهتمام المعاصر بدراسة علم الحياة اليومية بعد ظهور فكر ما بعد البنيوية، والذي يمثله «ميشيل فوكو» في فرنسا، و«أنتوني جيدنز» في بريطانيا؛ حيث يرى جيدنز- Giddens - أن لدراسة الحياة اليومية أهمية تكمن في ثلاثة أسباب؛ هي:

- أن أشكال التفاعل الاجتماعي تمثل الجانب الأكبر من أنشطتنا اليومية الروتينية، وتمارس عبر بُنى وصيغ شعورية وسلوكية معينة.
- أن دراسة الحياة اليومية تُبين لنا كيف يبدع البشر ويبتكرون أفعالاً مختلفة

وخلاقة يسهمون بها في إعادة تشكيل واقعهم.

• إن دراسة التفاعل الاجتماعي في حياتنا اليومية تلقي الضوء على الأنساق والمؤسسات الاجتماعية الأوسع والأكبر حجمًا، وتعتمد الأنساق الاجتماعية الضخمة في واقع الأمر على أنماط التفاعل الاجتماعي التي تمارس كل يوم. (أنتوني جيدنز، ٢٠٠٦، ١٥٩: ١٦٠)

الحياة اليومية هى الوجود المتعين للإنسان أو حالة الوجود بمكوناتها المتعددة؛ مثل الوسط الفكري الذى ينظم للأفراد حياتهم وتصوراتهم وتوجهاتهم والوسط الثقافي الذي ينظم هذا الوسط الفكري، ويحدد علاقاته مع البناء الأوسع، ويجعله قابلاً للتبرير، وكذلك أشكال التبادل المادي والثقافي التي تخلق تواصلاً بين الوسائط المعيشية للأفراد، وأخيرًا أشكال التدخل التي تسهم فى إعادة إنتاج الحياة اليومية إذا ما فشلت مظاهر التبادل المادي والثقافي فى ذلك. (عاليه عبد العال، ٢٠٠٨، ١٣٢).

بينما تمثل الحياة اليومية لدي بيير بورديو احتفالاً ضد الذوق الشعبي. (نهى عسل، ٢٠٠٥، ٦٦)

أما دي سيرتو فيصف الحياة اليومية بأنها مقاومة تكتيكية لإستراتيجيات الذوق القوي، فقد جاء تعريف سيرتو للحياة اليومية من اللغة اليومية، ويرى الحياة اليومية كموقع ومصدر لصنع الفنون الشعبية، حيث تعتبر الحياة اليومية فنًّا من فنون التحايل والخداع والمقاومة الثقافية الشعبية. (De certeau. M & Other. 1998. 70)

والحياة اليومية عند ميشيل مافيوزلي هي النشاط التضامني اليومي، ويرى أنها سياق غامض يستخدم فيه الفرد مهارته وذكاءه للتعامل مع المؤسسات الصارمة ويقاومها بمرونة ويشغل المصادر اللانهائية لمصادر اللعبة التي سوف يحياها، فالحياة اليومية تتوافق مع اللانظام كمظهر عفوي للحياة الاجتماعية، والتي تؤكد بشكل خاص على الخيال والتعدي، ويؤكد مافيوزلي على حسية ونزعية النشاط

الاجتماعي للحياة اليومية بعدد من الأمثلة تشمل الموضة والموسيقى والرياضة والاستهلاك، وكما يرى أن الحياة اليومية تأتي من الأحداث المشحونة عاطفيًا إلى حد كبير وبشكل متفاوت، وبذلك تستمر بنفس الطريقة باعتبارها خيالية انفعالية. (M. Maffesali. 1989. 167)

ويعرف هنري لوفيفر الحياة اليومية بأنها كل ما تبقى بعد أن يمحو المرء كل - أي -الطقوس الأنشطة المتخصصة، وهي تمثل الحياة الخاصة للأفراد. (**إيمان جابر، ٢٠٠٣، ٤**). والحركات وكلام الناس وإشارات الشوارع والانتقال من القرية للمدنية الحديثة. (**أمينة رشيد، ١٩٩٢، ٨٢**). ويرى لوفيفر أن الحياة اليومية كإيديولوجيا هي ميكانيزم تتكون بواسطته الاهتمامات الحقيقية والواعية لحياة الفرد اليومية، حيث تتحول إلى تمثيلات للظروف الفعلية، وتخترق حياتنا اليومية مع القوى الشديدة؛ لأنها تتعامل بشكل مباشر مع الحقيقة الحالية، فالحياة اليومية نسيج متواضع وصلب مسلَّم به في أجزاء وفترات قصيرة، مرتبطة بالوقت بما يجعل حياتنا روتينًا يوميًا. (Patrick. T.. 1989. 65)

وقد حددها «أحمد زايد» إجرائيًا بأن الحياة اليومية تكشف عنها مواقف تفاعل حياتية موزعة عبر فترات اليوم المختلفة (الصباح – الظهيرة- المساء)، وعلى الأماكن المختلفة (المنزل – النادي- الشارع- ووسائل المواصلات- وأماكن العمل- ومحلات الشراء وكل الأمكنة الممكنة الأخرى)، ويقصد بموقف التفاعل علاقة تفاعلية بين فاعلين قابلة للملاحظة والتدوين. (**أحمد زايد، ٢٠٠٣، ١٩٦**)

وهناك ثلاث نقاط أساسية يجب أن يضعها في الاعتبار من يدرس الحياة اليومية؛ وهي:

١- أن يدرسوا التفاعلات الاجتماعية من خلال ملاحظتها من المواقف الطبيعية التي تحدث بشكل مستقل في التعاملات العملية.

٢- التركيز على ملاحظة الناس وهم يتعاملون في مواقف الوجه للوجه؛ حيث

يكون تفاعل الناس وهم بصدد فعل شيء أو إدراك شيء أو الشعور به والتفكير فيه.

٣- التركيز على المعاني التي يجد فيها الناس حياتهم وعلى تجاربهم الداخلية.

وقد نظر هابرماس إلى الحياة اليومية على أنها وسيط، وأكد على إعادة الوحدة المفقودة للعقل، وأن التفسيرات المعرفية والتوقعات الأخلاقية وأشكال التعبير والتقييم لا تستغني خلال التواصل اليومي عن أن تتداخل وتتفاعل، والوصول إلى فهم العالم المعاش يتطلب تراثًا حضاريًّا يتخلل المنظور كله، ولا يقتصر على ثمار العلم والتكنولوجيا المشكلة؛ إذ كيف يتحقق التوازن من جديد بين عناصر العقل المنفصل، كما يرى هابرماس أن الحل لن يكون إلا من خلال التواصل في الحياة اليومية؛ فالحياة اليومية هي حالة الوجود الآني أو الوجود المتعين الذي يرتبط بمكونات ثقافية ومادية. (أرثر إيزابرجر، ٢٠٠٣، ٨٢) **انظر أيضًا (عطبات أبو السعود، ٢٠٠٤)**

وخطاب الحياه اليومية يعرف إجرائيًّا من خلال مجموعة من المؤشرات الدالة عليه، وهى الأحاديث التى يتبادلها الأفراد فى تفاعلهم فى المواقف اليومية، الألفاظ الشائعة والأمثلة والأقوال الأكثر انتشارًا، الإيماءات والرموز غير اللغوية كالحركات الجسدية المختلفة والرموز الاستهلاكية المختلفة، وأخيرًا مساق الخطاب من حيث التأكيد أو المبالغة، ومن حيث ارتفاع الحديث أو انخفاضه وطريقة الكلام والصمت والإصغاء. **(أحمد زايد، ٢٠٠٣، ١٩٦)**

٣- مفهوم السياسة:

إن كلمة «سياسة» مصدرها في اللغة كلمة «ساس» بمعنى تسيير الأمور ورعاية الشئون، ومن هنا اصطلح على أن «السياسي» هو: من يتولى تسيير أمور الناس ورعاية مصالحهم، ولأن مصالح البشر تتشابك وتتعارض وتتناقض كان دور السياسي هو التوفيق بين هذه المصالح ورعايتها بما يحقق في النهاية مصلحة الجماعة التي يراعي شئونها، كأن تكون دولة ما أو مجموعة من البشر يربطها رابط

مشترك.

السياسة هي الوسائل التي تستخدم بها السلطة لتفعيل الأنشطة الحكومية فى نطاق معين ووفق مضمون متميز، ويتسع مجال النشاط السياسي ليتجاوز الأجهزة والمؤسسات الحكومية، وتتمثل فيها دراسة القوة / السلطة، وتدل على مقدرة الأفراد والجماعات على إبراز مصالحها أو همومها حتى فى الحالات التى يواجهها أفراد أو فئات أخرى بالمعارضة، وتتضمن السلطة أحيانًا استخدام القوة التي تمثل عنصرا أساسيًا في جميع العلاقات الإنسانية بما فيها العلاقات بين المستخدِمين والمستخدَمين. (أنتوني جيدنز، ٢٠٠٥، ٤٦٧).

وفى الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» Wikipedia عرفت السياسية بأنها «الإجراءات والطرق التي تؤدي إلى اتخاذ قرارات من أجل المجموعات والمجتمعات البشرية»، ومع أن هذه الكلمة ترتبط بسياسات الدول وأمور الحكومات فإن كلمة سياسة يمكن أن تستخدم أيضًا للدلالة على تسيير أمور أي جماعة وقيادتها ومعرفة كيفية التوفيق بين التوجهات الإنسانية المختلفة والتفاعلات بين أفراد المجتمع الواحد، بما في ذلك التجمعات الدينية والأكاديميات والمنظمات، والعلاقة بين الأنثروبولوجيا والسياسة متداخلة وتأخذ أشكالاً متنوعة بدءًا من الأنثروبولوجي الذي يمارس دور الناقد الاجتماعي وصولًا إلى المحلل السياسي، ويرى «فان ويلجن» أن الإسهام الرئيس للأنثروبولوجيا في المجال السياسي ليس في صياغة السياسة نفسها وإنما في توفير المعلومات اللازمة لصناع السياسة، وقد جاء في هذا البحث مفهوم السياسة بمعناها الواسع وهو كل ما يخص الشأن العام.

ويقصد بالسياسة من الناحية النظرية « كل الأنشطة التى تهدف إلى تحسين مكانة الشخص أو تعمل على زيادة القوة لديه فى الحياة اليومية». ويعد الكلام فى السياسة وقضاياها وموضوعاتها وكذلك الحماس الشديد الذى يصاحبها ومحاولات فرض الرأي أو الاستبداد بالرأي فيما يتعلق بالموضوعات السياسية،

كل ذلك يكتنفه جانب من محاولات استخدام القوة فى التعبير وإثبات المكانة والهيمنة على آراء الآخرين. وعلى ضوء ذلك تستخدم الدراسة تعريفًا إجرائيًا للسياسة فى خطاب الحياة اليومية « بأنه كل النصوص والأحاديث والأقوال والحوارات التي تدور فى الشأن السياسي وتعكس زيادة قوة الأشخاص وتأثيرهم فى مواقف الحديث اليومي».

٤-مفهوم الشباب:

يعد الشباب مرآة أي مجتمع؛ فهو بأحواله وظروفه ووضعيته يمثل الصورة المنعكسة لما يحدث فى المجتمع وما آلت إليه بنيته على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وبالتالى فمشكلاته ومعاناته وإحباطاته المختلفة هى نتاج وإفراز لما يحويه المجتمع من تناقضات وتمايزات طبقية وتغيرات داخلية وخارجية تطبع بصماتها على الأوضاع الداخلية. (ابتسام علام، ٢٠٠٩، ٢٤٩)

وفى اللغة لفظ «شاب» مشتق من الفعل شب والجمع شباب وشبان وشبيبة والمؤنث شابة والجمع شابات وشواب وشوائب، من كان فى سن الشباب، وهو من سن البلوغ إلى الثلاثين تقريبًا، ويطلق علماء الغرب مصطلح Adolescence على الفترة من بداية الحلم حتى أوائل العشرينات، ولا يمتد تعريفهم ليشمل كل مرحلة الشباب حتى الثلاثين تقريبًا كما يحددها اللغويون. (يحيى مرسي، د.ت، ١٥٤)

ويستخدم السن كمعيار أساسي في تعريف الشباب، ولكن يختلف تعريف الشباب وفقًا لهذا المعيار؛ فالشباب هم الفئة العمرية الواقعة تحت ١٥ إلى ٢٥، وهذا هو التعريف المعمول به في البنك الدولي ووفقًا لمنظمة الأمم المتحدة، وباستخدام نفس المعيار يتم تعريف الشباب على أنهم أولئك السكان الذين يقعون في الفئة العمرية بين عامي ١٥ إلى ٣٠ بغض النظر عن المستوى المعيشي أو الجغرافي أو الثقافي الذي ينتمون إليه. (علي أبو الخير، ٢٠٠٦، ٣٣)

وقد اختلفت آراء العلماء حول تحديد مفهوم الشباب وتحديد السن الذى

تبدأ به وتنتهي عنده تلك المرحلة العمرية المهمة، فقد حدد كل علم من العلوم الإنسانية مفهوم الشباب من منظوره الخاص وإن اختلف الباحثون حول بداية ونهاية مرحلة الشباب العمرية.

مفهوم الشباب عند علماء السكان:

حاول علماء السكان تحديد مفهوم الشباب وفقًا لمعيار السن، وقد ركزوا على فكرة التوزيع السكاني لفئات العمر المختلفة التي يتكون منها سكان مجتمع ما، ولكنهم يختلفون فيما بينهم فى تحديد بداية ونهاية هذا السن؛ فهناك من يرى أن الشباب هم الشريحة العمرية تحت سن العشرين، ويرى آخرون أنها الشريحة العمرية ما بين خمسة عشر عامًا وخمسة وعشرين عامًا، ويمتد بها آخرون حتى سن الثلاثين، وقد اعتمدت الأمم المتحدة عام ١٩٨٠ معيار العمر كمحدد لفترة الشباب وحددت شريحة الشباب بأنها الشريحة التي تمتد بين ١٥-٢٤ عامًا، بينما ذهب المؤتمر الإقليمي لدول غرب آسيا الذي أقيم فى العراق عام ١٩٨٣ إلى أن تضم مرحلة الشباب -كما حددتها الأمم المتحدة- مرحلة سابقة تبدأ من العاشرة ومرحلة لاحقة تمتد إلى الثلاثين، وعللوا ذلك بأن نسبة كبيرة ممن يمرون بهذه السن المبكرة أو المتأخرة يدخلون سوق العمل بحكم الظروف الاقتصادية لبلاد المنطقة. (سلوى العامري، ٢٠٠٢، ١١)

مفهوم الشباب عند علماء الاجتماع والنفس:

أما علماء الاجتماع فيميلون إلى تحديد مرحلة الشباب على أنها تبدأ مع محاولة المجتمع تأهيل الشخص لاحتلال مكانة اجتماعية وممارسة دوره فى مسيرة البناء والتنمية، وتنتهى حينما يتمكن الفرد من احتلال هذه المكانة وممارسة الدور المنوط به مميزين فى ذلك بين السياقات الاجتماعية التى يحيا فيها الشباب؛ بمعنى أن المجتمعات النامية تكاد تشهد غيابًا لمرحلة الشباب أو ينتهي الحد الأقصى فيها سريعًا قبل المجتمعات المتقدمة التي تولي مرحلة الشباب أهمية كبيرة

بوصفها مرحلة التدريب والإعداد للمسئولية وتحمل الأعباء التي تتصل بهذه المجتمعات وتنميتها اجتماعيًّا واقتصاديًّا، أما علماء النفس فيرون أن مرحلة الشباب ترتبط باكتمال البناء الدافعي والانفعالي للفرد فى ضوء استعداداته واحتياجاته الأساسية واكتمال نمو كافة جوانب شخصيته الوجدانية والمزاجية والعقلية بشكل يمكنه من التفاعل السوي مع الآخرين فى المجال الاجتماعي. (صلاح عبد الحميد، ٢٠٠٨، ٧)

مفهوم الشباب البيولوجي:

وهي التي تؤكد على ارتباط نهاية مرحلة الشباب باكتمال البناء العضوي للفرد من حيث الطول والوزن واكتمال نمو كافة الأعضاء والأجهزة الوظيفية الداخلية والخارجية فى جسم الإنسان، ويعللون ذلك بأن نمو الجسم الإنسانى لا يتم بمعدل سرعة ثابت بعد الميلاد حيث ينمو سريعًا فى السنوات الأولى من العمر، وبعدها يبدأ معدل النمو فى البطء التدريجي حتى يتوقف تقريبًا فى سن الواحدة والعشرين إلا بالنسبة للمخ فإنه يستمر فى النمو حتى يصل إلى أقصى درجة في سن الثلاثين، وعلى هذا يحدد علماء البيولوجيا سن الشباب بأنها السن ما بين ١٦-٣٠ عامًا باعتبار أنها الفترة ذات أقصى أداء وظيفي للجسم والعقل معًا. **(سلوى العامري، ٢٠٠٢، ١٢)**

وبذلك فإن هناك من العناصر ما أن تتوافر فإنه يعكس ملامح ما يمكن أن يسميه البعض بالشخصية الشابة، ومن هذه العناصر العنصر البيولوجي والعنصر الاجتماعي الذى يتزود فيه الفرد ببعض الحاجات الاجتماعية التي يسعى إلى إشباعها جنبًا إلى جنب مع حاجاته البيولوجية الأساسية والعنصر السيكولوجي الذي يعني مجموعة من الخبرات التي يكونها الشخص نتيجة التعامل مع العالم الخارجي إلى جانب اتجاهاته حول هذا العالم، وأخيرًا المكون أو العنصر الثقافي والذي يتم من خلاله ضبط حركة الفرد في السياق الاجتماعي. **(صلاح عبد الحميد، ٢٠٠٨، ٨)**

ولأغراض إجراء هذه الدراسة ركزت عملية جمع البيانات على الفئة العمرية ما بين الـ ١٨ إلى ٣٥ عامًا، ذلك لأن مرحلة الشباب فى المجتمعات العربية تعتبر مرحلة طويلة نسبيًا أكثر من المجتمعات الغربية بسبب البطالة وتأخر سن الزواج.

الشباب في مجتمعي البحث:

تواجه بعض الدول ضغوطاً نتيجة تصاعد نسبة الشباب في تركيبتها السكانية، إذ يمثل الشباب أقل من سن ٢٥ عاما حوالي ٦٨٪ من سكان مختلف الدول العربية وفق تقديرات قسم السكان بإدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالجمعية العامة للأمم المتحدة، بيد أن التفاوت القائم بين دول الإقليم يجعل التأثير الضاغط لهذه الفئة العمرية يختلف بين دولة وأخرى، حيث تصل إلى ٥٢.٣٪ في مصر، و٥٤.٤٪ في الأردن، وحوالي ٤٧٪ في ليبيا والجزائر و٣٠٪ فى تونس، بينما كشفت تقديرات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر، في ١٩ تشرين الثاني الفائت، عن أن ما يزيد على ٢٧٪ من سكان مصر يقعون في الفئة العمرية ما دون ١٨ عاماً، ثلثهم من الفقراء ويعاني حوالي ١٣.٥ ٪منهم من انعدام المأوى و١٢٪ آخرين من الحرمان من الطعام و٥٪ من الحرمان من التعليم، بما يهدد بتحولهم إلى « قوة ناقمة » على المجتمع في المستقبل. ويرتبط ذلك بما كشف عنه تقرير منظمة العمل العربية، في ١٢ تشرين الثاني الفائت، من أن البطالة في العالم العربي تطال حوالي ٢٠ مليون فرد بالعالم العربي بنسبة ١٦٪ من السكان، يمثل الشباب حوالي ٩٥٪ منهم، حيث تصل معدلات البطالة إلى حوالي ١٤٪ في مصر، و١٦٪ في تونس، بما يزيد من احتمالات تفجر احتجاجات نتيجة السخط الشبابي على الأوضاع الاقتصادية المتردية.

وقد برزت ظاهرة تضخم فئة الشباب في مصر لأول مرة عام ١٩٩٥، ومن المتوقع أن تستمر هذه الظاهرة خلال الثلاثين سنة القادمة حتى عام ٢٠٤٥ وهذا الجيل تقدر نسبته بنحو ٢٣.٥٪ من إجمالي السكان في عام ٢٠١٠، أو بما يوازي ١٩.٨ مليون شاب وشابة في الفئة العمرية من ١٨ : ٢٩ سنة. (تقرير التنمية

البشرية٢٠١٠ ، ٢)

هذه التحولات الديموغرافية تعد مُحفِّزات لتحديات سياسية باتت تواجه مختلف الدول، إذ ارتبط تصاعد نمو السكان في بعض الدول بتزايد معدلات الفقر التي وصلت في مصر حوالي ٤٠٪، وفقًا لبعض الإحصاءات الدولية، نتيجة الضغوط السكانية التي تؤدي إلى استنزاف الموارد وأزمات التوزيع غير المتوازن لعوائد التنمية والمناطق المهمشة بما يجعل تأجج الاضطرابات السياسية والاحتجاجات احتمالاً قائماً في تلك الدول. وعلي مستوى آخر، يؤدي تصاعد تمثيل الشباب في التوزيع العمري للسكان في بعض الدول إلى الدفع باتجاه عدم الاستقرار السياسي، إذا توازى ذلك مع تزايد معدلات البطالة والفقر وتردي كفاءة نظم التعليم والتأهيل لسوق العمل، حيث يتصاعد لدى القطاعات الشبابية الشعور بالسخط والإحباط الاجتماعي، بما ينتج عنه الاتجاه للعنف والنزوع نحو رفع مطالب راديكالية ليس أقلها ألمابإسقاط النظام السياسي الذي لا يلبي التطلعات الاقتصادية والاجتماعية، وفى تونس جاء تقرير البنك الدولى لعام ٢٠١٥ بأن نسبة الشباب الذى لم يتلق أي تعليم وليس لديه وظيفة ولم يتلق أي تدريب تقدر ب ٣٣٪ من إجمالي الشباب التونسي،على الرغم من أن تعداد الشباب فى مصر أكبر منه فى تونس إلا أن تونس شقت الدرب أمام الثورات العربية وتبعتها ،مصر في حين أن الأوضاع العامّة في مصر كانت أسوأ كثيرًا ممّا كانت عليه في ،تونس ويمكن أن نعزى هذا السبب إلى أن تونس هي أكثر الدول العربية تقدّمًا في المجالات كلّها: التعليم، والخصوبة، والزواج، التحضّر، وردم الفجوة بين الجنسين، وغيرها. صحيح أن المجتمع التونسي ينعم بتجانس طائفي واثني، إلّا أنه كان على تونس أن تنتظر حتى كانون الثاني/ يناير ٢٠١١ لتطلق ثورة الياسمين. فلو جرى الاعتماد على تحليل المؤشرات الإيجابية في تونس، ولا سيما أن معدل الخصوبة الكلي اقترب من معدل ٢ منذ أكثر من عشرة أعوام، لكان متوقّعًا أن تتم إطاحة النظام التسلّطي في زمن أبكر.(يوسف كرباج،٢٠١٣، ١٦٣).

ويمكن ان نعزو أحد الأسباب الجذرية لهذا السخط إلى نقص الفرص المتاحة، للشباب فمعدل البطالة كان مرتفعا على نحو خاص عند نسبة ٣٠.٧٪ في حين بلغ معدل البطالة الإجمالي ١٤٪ مما جعل نسبة البطالة بين الشباب وبين الكبار تصل إلى ٣.٢، ومع ذلك لم تكن البطالة العامل الوحيد بأي حال من ،الأحوال فالإقصاء ومنع الشباب من التعبير عن أرائه أيضا كان عاملا مؤثرا اندلعت على إثره الثورة في ،تونس وكانت شرارة الحراك الثوري نتيجة الشعور بالغضب واليأس لبائع خضروات عاطل عن العمل عمره ٢٦ عاما في إحدى الولايات التونسية وهى سيدى ،بوزيد وقد وجد ذلك صدى لدى كثير من التونسيين الذين كانوا يواجهون التحديات اليومية ،نفسها وأدى إلى خروج موجات من ،الاحتجاجات لكن هذه الاحتجاجات لم تكن ،جديدة ففي أوائل عام ٢٠٠٨ خرج بعض الشباب العاطلين في مظاهرات بمنطقة قفصة وهى إحدى مناطق التعدين الفقيرة التي لا تزال تعانى من أحد معدلات البطالة في البلاد.

وعلى الرغم من هذا إلا أن الشارع التونسي يرى أن ذلك الشاب وهو بوعزيزي مخطأ في تصرفه (مش مخلق) فهو الذي أخطأ بحق ضابطة الشرطة (البوليسية) وسبها بألفاظ خادشه ،للحياء لذلك كان من حقها أن تصفعه على ،وجهه ولذلك حصلت تلك الشرطية على ،لبراءةا فالقانون نفسه لم يجرمها، إلا أنه يعتبر هو شرارة وأيقونة الثورة التونسية على الرغم من التأكيد الدائم منهم على أن الثورة لم تكن لها علاقة ببوعزيزى فكانت هذه النتيجة النهائية لحالة الاحتقان الشديد داخل المجتمع التونسي نتيجة الأوضاع المزرية.

دور الحركات الشبابية السياسية:

على الرغم من أهمية الدور الذي قامت به الحركات الشبابية في الدعوة إلى تفجير الانتفاضات والثورات الشعبية في كلٍّ من تونس ومصر وليبيا واليمن، فإن الحركات الشبابية التي تصدرت المشهد في هذه البلدان لم تنجح في الوصول إلى

الحكم، أو حتى في أن تكون شريكًا في ترتيباته، فقد تراجع دورها وتأثيرها في المجال العام، وذلك بفعل المشاكل التي شابت أداء هذه الحركات نفسها، ورغبة أنظمة الحكم الجديدة في تحجيم دورها، وتُعاني الحركات الشبابية تراجعًا كبيرًا في دورها بعد قيام الانتفاضات والثورات الشعبية في ٢٠١١ نتيجة للأخطاء الهيكلية التي ارتكبتها في مسيرة المرحلة الانتقالية. ففي البداية تخلت هذه الحركات عن موضع القيادة عقب سقوط الأنظمة القديمة، وتركت الساحة للحركات السياسية المنظمة مثل جماعة الإخوان في مصر وحزب حركة النهضة في تونس اللذين توافرت لهما الخبرة التنظيمية، والدعم المالي والسياسي المنظم، على نحو مكنهما من الحصول على أغلبية البرلمان، والفوز بالمناصب التنفيذية الرئيسة في البلدين. وانشغلت قيادات الحركات الشبابية بأحلام «الرومانسية» الثورية، وبالظهور الإعلامي المبالغ فيه ولم تستطع هذه الحركات طوال الفترة ٢٠١١-٢٠١٤ تحويل طاقات الرفض الاجتماعي الخلاقة التي تتمتع بها إلى طابع مؤسسي، فلم تُعِدْ تنظيمَ نفسها في شكل أحزاب لخوض الانتخابات بفعل ضعفها المالي، أو أن تنخرط في إطار أحد الأحزاب القائمة ذات الشعبية، أو أن تطور من برامج عمل يستطيع أن يلمسها المواطن، بل اكتفت بطرح مجموعةٍ من الشعارات العامة مثل «عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية»، وانخرطت في مجموعة من الأنشطة التي أفقدتها أي رصيدٍ لها في الشارع، مثل الدعوة المتكررة إلى مليونيات لم يحضرها سوى آلاف المواطنين، والدخول في معارك غير حقيقية ركزت على خلافات الماضي، وفتح كل الملفات مرة واحدة، وهو ما أفقدها تعاطف المواطن العادي. إلى جانب ذلك، اتسمت هذه الحركات بالتشرذم والانقسام، وغلبة روح المنافسة لا التكامل على أنشطتها، وسيطرة ثقافة «الشللية» والصراع على تفاعلاتها، فأغلب هذه الحركات ليست كتلةً واحدةً، ومن الصعب تخيل وجود عقل جمعي واحد لها، وأن جميع سلوكياتها تتم بوعي ورشادة، وإنما يوجد اختلاف وتضارب وصراعات مصالح داخلها وبينها. وأدى ذلك كله إلى غياب قيادة ميدانية وسياسية شابة قادرة على توحيد قوى شباب «الثورة» والتفاوض

باسمها مع الأنظمة الحاكمة، وسمح ذلك في كثير من الأحيان باندساس مجموعات مشبوهة شوهت صورة هذه الحركات، وأظهرتها بمنظر الداعي إلى استخدام العنف، وهدم أجهزة الدولة. ففي حالة مصر، تجاوز عدد الائتلافات الشبابية أكثر من ٢٠٠ ائتلاف في نهاية عام ٢٠١١، كما عانت حركة شباب ٦ إبريل في العام نفسه من انشقاقات داخلية، أدت إلى تشكل جبهتين، هما (٦ إبريل أحمد ماهر) و(٦ إبريل الجبهة الديمقراطية)، ولم تتمكن حركة (تمرد) التي ظهرت في نهاية شهر إبريل ٢٠١٣ من حسم الاختلافات الداخلية بين أعضائها نتيجة اختلاف الموقف من تأييد أحد مرشحي الرئاسة في انتخابات الرئاسة المصرية في مايو ٢٠١٤، ولم تتخذ جمعيتها العمومية التي انعقدت في ١٠ فبراير ٢٠١٤ أي قرارات بشأن تجميد أو فصل أي من قيادات الحركة. وفي بعض الحالات أدى حجم الانقسامات إلى حل بعض الحركات الشبابية مثل (اتحاد شباب الثورة) الذي ضم خليطًا من الشباب المنتمي للتيارات السياسية المختلفة. وأدى كل ما سبق إلى «هز» صورة النخبة الشبابية الثورية أمام الرأي العام، وجعلها أكثر انكشافًا أمام النخب البديلة الأخرى. ولم تعرف الحالة التونسية حركة شبابية شهيرة مثل: حركة ٦ إبريل في مصر، أو ٢٠ فبراير في المغرب، بل اتسم الحراك الشبابي فيها بالتنوع والتفتت من خلال مجموعات شبابية مبعثرة مختلفة الاتجاهات والميول. وحتى الحركة الوحيدة التي كان متوقعًا منها أن تكون الحركة الشبابية الجامعة، وهي حركة تمرد التي نشأت في أعقاب الأزمة السياسية الحادة التي ضربت تونس عقب اغتيال المعارضين اليساريين شكري بلعيد في ٦ فبراير٢٠١٣ ومحمد البراهمي في ٢٥ يوليو ٢٠١٣ لم يكن لها دور مؤثر في الشارع. فعلى خلاف الوضع في مصر، فقد فشلت دعوات الحركة لسحب الثقة من المجلس التأسيسي وكل السلطات المنبثقة عنه.(**يوسف ورداني، مايو،٢٠١٤، ٢٢**).

وكان ذلك نتيجة لنجاح المبادرة الرباعية التي قادها الاتحاد التونسي للشغل، والتي طالبت بتشكيل حكومة كفاءات وطنية مستقلة، وإقرار مشروع الدستور،

وتشكيل هيئة مستقلة للإشراف على الانتخابات، وكذلك نتيجة مرونة حزب النهضة مقارنة بجماعة الإخوان التي استهانت بحركة تمرد، وتجاهلت حقيقة نزول الملايين للثورة على نظامها الحاكم في ٣٠ يونيو ٢٠١٣، وقد عمدت أنظمة الحكم الجديدة في دول الثورات إلى تحجيم دور الحركات الشبابية التي دعت إلى الثورات فيها، وشملت هذه الأساليب التشكيك في تمثيل هذه الحركات لكافة فئات الشباب، والمزاوجة في التعامل معها بين استخدام سياسة العصا والجزرة، وتطويع القوانين والتشريعات القائمة لضمان عدم ازدياد الوزن النسبي لهذه الحركات، وأبرزها القوانين المتعلقة بتأسيس الأحزاب السياسية، وتنظيم الانتخابات، وقوانين الإضراب والتظاهر ففي مصر على سبيل المثال، شجع المجلس الأعلى للقوات المسلحة إنشاء العديد من الائتلافات الشبابية التي أضعفت من الحركات الشبابية القائمة، وأظهرت زيف ادعائهم تمثيل كافة فئات الشباب، خاصةً في الحوارات التي جمعت المجلس بالثوار. كما اتبع نظام حكم الإخوان سياسة تهادنية مع الحركات الشبابية المعارضة، حيث ضُمَّ أحمد ماهر - مؤسس حركة شباب ٦ إبريل- لعضوية الجمعية التأسيسية الثانية للدستور. واتبع نظام الحكم الجديد بعد ٣٠ يونيو نهجًا «صداميًّا متدرجًا» مع بعض هذه الحركات؛ حيث غض الطرف عن حملات التشويه التي طالت هذه الحركات وأبرز قياداتها بسبب موقفهم غير الواضح من ثورة ٣٠ يونيو، وانتقادهم لدور المؤسسة العسكرية في الحياة السياسية، وظهر ذلك جليًّا في عدم اتخاذ موقف من التسريبات التي بثتها إحدى القنوات الفضائية المصرية، وتضمنت عبارات ومعانيَ صادمة أسقطت هالة «القداسة» عن القيادات الشبابية لحركة ٦ إبريل، وتلك التي ارتبط اسمها بالدعوة إلى ثورة ٢٥ يناير، وخاصة فيما يتعلق بذممهم المالية. كما ألقت أجهزة الأمن القبض على عددٍ من رموز الحركات الشبابية بسبب مخالفتهم قانون التظاهر، وحكم القضاء بالسجن عليهم لمدة ثلاث سنوات، ولم يستجب الرئيس للنداءات التي أطلقتها بعض الشخصيات العامة للإفراج عنهم. وفي هذا الإطار أصدرت محكمة الأمور المستعجلة بالقاهرة حكمًا بحظر نشاط حركة ٦

إبريل، وهو ما وجه «رسالة تحذيرية» لكل الحركات الشبابية المناظرة. وكذلك شجع النظام إنشاء حركات شبابية بديلة مثل حركتي «تمرد» و«مستقبل وطن»، ووفرت السلطة وأجنحتها لهم كافة سبل الدعم السياسي والمالي من أجل إيجاد ظهير سياسي موالٍ لها بين الشباب ،نفس الأمر شهدته تونس، حيث استمرت التضييقات الأمنية على النشطاء الشباب، وأبرزهم عماد دغيج الذي حُكم عليه بالسجن ١٤ شهرًا بسبب اتهامات الفساد التي وجّهها عبر وسائل التواصل الاجتماعي إلى القضاة وضباط الشرطة، وذلك ردًّا على بيان أصدرته النقابة الوطنية للشرطة التونسية تعهّدت فيه باتخاذ «إجراءات تصعيدية» بحق الحكومة إذا لم تقم بتوقيف عماد دغيج الذي اتّهمته النقابة بتهديد الأمن القومي. **(يوسف ورداني يونيو،٢٠١٤، ٥)**

ويمكن تفسير ممارسات أنظمة الحكم الجديدة، خاصة في مصر، بعاملين، يتمثل أولهما في إدراك هذه النظم أن اللحظة باتت مناسبة لاستئصال كل البذور التي يُمكن أن تُثير التوتر مستقبلا، خاصة في ظل توافر مناخ اجتماعي وسياسي محبذ للاستقرار، وداعم لأي جهود يكون من شأنها رفع مستوى التنمية الاقتصادية. وثانيهما، إدراك هذه النظم حقيقة وقوع عدد كبير من النشطاء الشباب في فخ الهواية السياسية، وعدم إدراكهم حجمَ التغير في مزاج الرأي العام وتقلباته، وضعف قدرتهم على إيجاد صيغة للتوازن المطلوب بين الدفاع عن القيم الليبرالية من جانب، والأخذ في الاعتبار الظروف المحلية التي تمر بها بلدانهم من ،جانب وبالإضافة لممارسات النظم الحاكمة، فقد لعبت الأحزاب والقوى السياسية المنظمة أدوارًا سلبية تجاه حركات الشباب؛ حيث صدرت النخب التقليدية في مصر وتونس إلى هذه الحركات الاستقطاب الديني-المدني، في مصر تصاعد خطاب التخوين والاتهامات المتبادلة بين الشباب المؤيد لثورة ٣٠ يونيو وشباب الإخوان، وبين الشباب المؤيد للمشير عبد الفتاح السيسي قبل انتخابه رئيسًا لمصر والشباب الثوري المسيس. وفي تونس، حاول بعض قادة جبهة الإنقاذ

المعارضة الرهان على الشباب لإسقاط حزب النهضة في تظاهرات ٢٠١٣، غير أنهم عادوا لاحقًا وأقروا -وفق تعبير أحد القيادات- بتضاؤل تأثير ورقة «تهييج الشارع والشباب حول مطالب سياسية وحزبية، وضرورة التفكير في سيناريوهات بديلة لتحقيق هدف إسقاط الإسلاميين وحلفائهم من الحكم».

كما قامت الحكومات والأحزاب والقوى السياسية باستبعاد غالبية النشطاء الشباب المعروفين من حساباتهم في النقاش حول مستقبل الوطن، وفي ترشيحاتهم للمجالس النيابية أو المواقع التنفيذية في ،الدولة وتدنت نسبة مشاركة النشطاء الشباب في المناصب العامة، واقتصرت حال حدوثها على الشباب المنتمي إلى تيارات ثورية أقل راديكالية، ومجموعة من الشباب المنتمي إلى أحزاب سياسية متوافقة مع الخط العام للدولة.

٥- مفهوم الربيع العربي:

استهل الوطن العربي عام ٢٠١١ بحركات شعبية قوية تهدف إلى تغيير جذري في أوضاع عدد من الأقطار العربية، بدأت الشرارة الأولى من تونس، وتصاعدت بوتيرة سريعة إلى الحد الذي مكنها من الإطاحة برأس النظام ونخبته في أيام قليلة (٢٤ يوم)، كانت الرسالة واضحة: أن الحكم البوليسي والعنف المفرط غير قادرين على التصدي لثورة شعبية، ولذلك سرعان ما انتقلت الشرارة إلى مصر التي كانت تموج أصلاً بإرهاصات الثورة، وهكذا تفجرت مظاهرات التغيير واستطاعت في أسبوعين وأيام قليلة أن تطيح بدورها برأس النظام ومعاونيه الأساسيين. انتقلت الشرارة إلى اليمن وليبيا وسوريا، ولكن تعبير الربيع العربي وعلى رغم حياده الظاهر في وصف التطورات على الساحة العربية إلا أنه ينطوي أيضًا على معانٍ ودلالات تتعين الإشارة إليها، فأولًا يحمل الربيع في ثناياه معنى الشباب والتجدد وهو فعلاً ما ينطبق على الثورات العربية التي ساهمت في تحريكها شريحة الشباب أكثر من غيرها، هذا بالإضافة إلى ما يرمز له الربيع عادة من تفاؤل وأمل لينطبق أيضًا على الثورات العربية وانتظاراتها، بحيث تطمح الشعوب العربية

إلى فتح صفحة جديدة في تاريخها السياسي تبتعد فيها عن الأنظمة الديكتاتورية التي فشلت في تحقيق التنمية.

ولقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة على لسان القرار السياسي الأمريكي إثر الانتفاضات الشعبية التى جرت على الساحة العربية، والتي أطاحت ببعض رموز النظام السياسي العربي الراهن أمثال بن علي فى تونس ومبارك في مصر، وقد كان تعبير أوباما ووزيرة خارجيته، كلينتون، لافتًا لمساندتهما لمطالب التغيير العربية مستخدمين عبارة الربيع العربي لما تحيل إليه من معاني الشباب والأمل في مستقبل أفضل. ولكن هذا الاحتفال بالمدلولات الإيجابية للربيع عندما يُقرن بحركة الشعوب ورغبتها في رسم مستقبلها وتقرير مصيرها ينبغي ألا يحجب عنا التجارب التاريخية التي أُجهض فيها الربيع، أو على الأقل لم يأتِ بما كان ينتظر منه، فقد استُخدمت لفظة الربيع أول مرة في عام ١٩٦٨ للإحالة إلى حركة الإصلاح التي شهدتها تشيكوسلوفاكيا التي جربت الإصلاح السياسي للتخلص من قبضة الاتحاد السوفييتي والانعتاق من النظام الشيوعي السابق، فجاء رد موسكو بإرسال دباباتها إلى العاصمة براج مجهضة الربيع قبل أن تتفتح أزهاره، فكانت نهاية ربيع براج الشهير. وربما تجنبًا لهذا المصير لم تشأ الدول الغربية وصف الحركات الديمقراطية التي اجتاحت أوروبا الشرقية بعد إصلاحات جورباتشوف في الثمانينيات بالربيع، بل لجأت وسائل الإعلام ومعهم الأكاديميون في الغرب إلى اختيار مميزات خاصة بكل ثورة، وهكذا سمي التحرك في تشيكوسلوفاكيا بالثورة المخملية لطابعها السلمي ولمساهمة المثقفين وأصحاب الرأي في إطلاقها وعلى رأسهم «فاكلاف هافيل» الذي أصبح أول رئيس ديمقراطي للبلاد، وفي أوكرانيا أُطلق على الحراك الشعبي الثورة البرتقالية بالنظر إلى الأعلام البرتقالية التي رفرفت في الشوارع، وقد استخدم الربيع خلال الأعوام الأخيرة أيضًا في وصف المظاهرات العارمة التي شهدها لبنان للمطالبة بخروج القوات السورية من البلاد، وهو ما أذعنت له دمشق تحت الضغط الشعبي

المتنامي، وإن كانت قد عادت إلى لبنان من خلال القوى السياسية المتحالفة معها مفرغة ربيع بيروت من مضمونه الحقيقي.

وإذا كان هذا هو حال الربيع في لبنان وتشيكوسلوفاكيا في ١٩٦٨ بعدما أجهضته الأنظمة القائمة القابضة فما هو مآل الربيع العربي؟ (نايف علوش.٢٠١١)

أما عن **المفهوم الإجرائي** الذي تبنته الدراسة وهو كل ما يتعلق بالسياسة داخل الحياة اليومية للشباب؛ أي الأحاديث التي يتبادلها الشباب في تفاعلاتهم في المواقف اليومية والألفاظ الشائعة والأمثال والأقوال الأكثر انتشارًا بين الشباب التي تتمحور حول السياسة إلى جانب الإيماءات والرموز غير اللغوية كالحركات الجسدية المختلفة والرموز الاستهلاكية، ومساق الخطاب من حيث التأكيد أو المبالغة، ومن حيث ارتفاع الحديث أو انخفاضه وطريقة الكلام والصمت وفن الإصغاء، فالسياسة داخل الخطاب اليومي - وهو خطاب القاعدة العريضة من الجماهير- قد يرتبط بقضايا معينة تهتم بالخطاب الرسمي وذات صلة بالواقع المعاش بجانب قضايا الحياة اليومية والذي يلعب دورًا كبيرًا في تأويلها وتفسيرها مصادر تشكيل الوعي السياسي للأفراد.

ثانيًا : التوجهات الحديثة للأنثروبولوجيا اللغوية

١- ماهية الأنثروبولوجيا اللغوية:

لقد كان هناك تداخل بين مصطلحي الأنثروبولوجيا اللغوية واللغة الأنثروبولوجية فقد استعملا في الماضي دون ،تمييز فقد حاول هايمز أن يثبت استعمال مصطلح الأنثروبولوجيا اللغوية في عدة مقالات في بداية الستينيات ولكن حتى هايمز وبالرغم من كونه مؤرخ شديد التفحص نجده يستعمل المصطلحين من حين لآخر في كتابه language in culture and society، أيضا هناك من استخدم مصطلح اللغويات الإثنية والذي كانت شعبيته محدودة في هذا الوقت بالولايات المتحدة في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات ولكنه كان

شائعا في الأبحاث ،الأوروبيـــة ذلك لأن الأوروبيين قد فضلوا الإثنولوجيا على الأنثروبولوجيا، وقد أعطي هايمز رؤية واضحة لهذا الحقل الفكري عندما عَرَفَ دراسة الكلام واللغة في سياق الأنثروبولوجيا، الأنثروبولوجيا اللغوية هي دراسة اللغة كثروة ثقافية والكلام كممارسة ثقافية وبما أنها في صلبها تكون حقل معرفة ، متداخل فهي تعتمد على تطور المناهج الموجودة في حقول أخرى بالأخص اللغويات والأنثروبولوجيا بهدف إعطاء مفهوم لأوجه اللغة العديدة كمجموعة من الممارسات الثقافية، وتعتبر الأنثروبولوجيا اللغوية أحد الأفرع الأربعة التي تشكل الأنثروبولوجيا إلى جانب الأنثروبولوجيا الأثرية الأنثروبولوجيا الطبيعية الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية. (**اليساندرو دورانتى، ٢٠١٣، ٢٣**)

وهذا هو التصنيف المعمول به في الولايات المتحدة الأمريكية التي تجعل الأنثروبولوجيا اللغوية فرعا مستقل عن الأنثروبولوجيا ،الثقافيـــة وهذا التصنيف لم يرد ذكره في الكتابات العربية حتى أن أحمد أبو زيد اعتبرها أحد أفرع الأنثروبولوجيا الثقافية. (**أحمد أبو زيد، ٢٠٠٨، ١٥٨**)

تبدأ الأنثروبولوجيا اللغوية من فرضية نظرية أن الكلمات لها أهمية وأن الأنثروبولوجيين موضوع دراستهم المتكلمين كعاملين ،اجتماعيين فهي تهتم بالمتكلمين كفاعلين اجتماعيين وباللغة كمورد ومنتج للتبادل الاجتماعي وبالجماعات اللغوية ككيانات، فاللغة كما تقول موريسون هي مقياس حياتنا؛ لذلك يركز الأنثروبولوجيون اللغويون على الأداء اللغوي وموقع الحديث بدلا من أن يركزوا على ما يجعلنا متساويين في ، الإدراك والمعرفة أيضا تعمل على دراسة قدرة اللغة أو السماح لها بالوجود بين المجموعات أو الأشخاص أو الهويات، وكما عرفها منذ البداية «بواس» و«مالينوفسكي» وبقية مؤسسي الأنثروبولوجيا ،الحديثة فاللغة هي التي تفسر الأحداث التي يراقبها العالم الاثنوجرافي فيما مضى قبل أن يقترح الأنثروبولوجيون المفسرون التفكير بالثقافة

كنص مكتوب ،لذلك فالأنثروبولوجيون والإثنوجرافيون لابد أن يكونوا متخصصين في تحليل ،الخطاب فالأنثروبولوجيون الأوائل كانوا يحولون الثقافة إلى نص مكتوب ثم يقومون ،بتحليله ويبدأ الأنثروبولوجيون اللغويون من فرضية وجود أبعاد للكلام لا يمكن إظهارها إلا عند دراسة ما يفعله الناس حقا باللغة في استعمالهم الكلمات والصمت وحركة الجسم بشكل ينسجم مع سياق الكلام الذي تقال فيه ،الإشارة وهذا يسمح لنا أن نرى كيف يمكن للكلام أن ينتج عملا عيااجتما وأن يؤثر في طريقة وجودنا في العالم. (اليساندرو دورانتى، ٢٠١٣، ٢٥)

بالتالي ترتبط الأنثروبولوجيا اللغوية بتحليل الخطاب وبالثقافة ،السائدة فالثقافة لا يمكن أن تؤدي دورها إلا بواسطة الأفكار ،المجردة والأفكار المجردة بدورها لا توجد إلا بواسطة الكلام أو بديل عنه كالكتابة ،والأرقام وبالتالي فقد بدأت الثقافة بالوجود عند ولادة الكلام وقد تطور كل منهما. (Kroeber. 1963. 102)

بالتالي فاللغة دور قوي في فهم ،الثقافة فيمكن دراسة الأنظمة اللغوية كدليل يقودنا إلى الأنظمة الثقافية، وكما أوضح «سابير» أن اللغة شرط أولي لتطور الثقافة. وأكد على أهمية المنطق الداخلي للغة لفهم ما يعنيه أبناء الثقافة أنفسهم، وقد أكد «وورف» أيضا على الصلة بين اللغة ورؤية الشخص للعالم. فكان يعتقد أن تركيبة كل لغة تحتوي على نظرية عن تركيبة الكون. وكان يسمى ذلك أحيانا ، ميتافيزيقا ويرى أن التحليل اللغوي يهدف إلى وصف هذه الرؤى الكونية. (Worf. 1956.87)

وتعتمد الأنثروبولوجيا اللغوية على المناهج الإثنوجرافية بصفة أساسية .والتي تهتم بدراسة ما يقوم به الناس في حياتهم اليومية العادية؛ مثل الأعمال التي يقومون بها وكيف ينظمون أنفسهم ومن ينظم ومن أجل من يقام التنظيم وما يصنعونه وما يستعملونه ومن يتحكم بحصول الناس على السلع والمصنوعات التكنولوجية وكيف يتواصلون مع بعضهم ،البعض وكيف يتخذون

قـــراراتهم. وكيف يصـنفون الأشـياء والحيوانـات والنـاس والظـواهر الطبيعيـة والثقافيـــــة. وكيف ينظمون تقسيم العمل. وكيف ينظمون حياة العائلة...إلخ ...إلخ، فالإثنوجرافيا قبل كونها إنتاجا فهي نـص مكتوب موضوعه دراسة الحيـاة اليومية تقـــوم عـــلى التعايش والاحتكاك بالناس وسماع لغتهم اليومية وهـذا مـا أكد عليه فيرث. (firth. 1965. 3)

بالتالي الدراسات الأنثروبولوجية تقوم في أساسها عـــلى دراسة الحيـاة اليوميـة بكل معانيها وتحويلها إلى نص أو ،خطاب وبالتالي يعد الربط بين الأنثروبولوجيـا وخطـاب الحيـاة اليوميـة ربطـا طبيعيـا ومنطقيـا بـل وضـروريا لفهـم وتفسـير الثقافـــــات ولـذلك يعـد الاسـتماع إلى أحاديـث النـاس وتـدوينها عمـلا أنثروبولوجيا بالدرجة ، الأولى وهو ما أكد عليه دورانتى حيث أوضـح أن عمـل الأنثروبولوجي اللغـوي يعتمـد بالأسـاس عـــلى التسـجيلات العفويـة المباشـرة للتبادلات ليس فقط بينهم وبين الناس الذين يدرسونهم بل بـالأخص بـين هـؤلاء الناس أنفسهم. (duranti. 1996.51)

لذلك يقوم الأنثروبولوجي اللغوي بالتركيز على التبـادلات الشـفهية العفويـة ويستخرج منها ما يهمه مـن ،الموضـــوعات وهـو مـا تـم في هـذه الدراسـة التـي اهتمت بالموضوعات السياسية داخل الخطاب ،اليومـــي ومما سبق يتضـح لنـا مدى ارتباط الأنثروبولوجيا اللغوية بخطـاب الحيـاة اليوميـة والـذي إذا بحثنـا في جذوره نجده مرتبطـــا بعلم الأنثروبولوجيا وبالإثنوجرافيا أكثـر مـن ارتباطهـا بعلـم الاجتمـاع. كمـا تـرتبط أيضـا بالأنثروبولوجيـا اللغويـة بـالمنهج الإثنوميثودولـوجي الـذي وضـعه جارفينكـــل؛ حيـث أوردعدة أفكـار مهمـة ومبدعـة يستخدمها الباحثون الذين يهتمون بتطبيـق المنـاهج الإثنوجرافيـــة التقليدية عـــلى دراسة الكـلام ،اليومـــي وبمـا أن المعرفـة ضـمنية لا يمكننـا أن نقترب من الناس ونسألهم عما يفكرون به. لذلك علينـا أن نراقـب كيـف يتفاعـل الناس بعضهم مع بعض كل يوم وكيف يجدون حلولا لمشاكلهم وبالطبع يتم هذا

عن طريق الكلام والإشارات الدلالية. (دورانتى،٢٠١٣. ٣٤)

ولـذلك فـالمنهج الإثنوميثودولوجـي مـرتبط ارتباطـا وثيقـا بالأنثروبولوجيا اللغوية وبخطاب الحياة اليومية وليس بمعزل عن الثقافة.

كمـا تـرتبط أيضـا الأنثروبولوجيـا اللغويـة بنظريـة انتـوني جيـدنز البنيويـة التركيبيـة ذلك لأن جيدنز يعتبر أعضاء المجتمع الناشطين والتركيبات الاجتماعية المختلفة يكونـون سلسـلة منظمـة تعيـد نفسـها في الزمـان والمكـان وتشكل مصدرا يسمح للمجتمع بتنظيم حياة أعضائه ، الاجتماعيـة واسـتخدام هؤلاء الأعضاء لهذه المصادر يسمح لها بـأن تبقـى وتتكـرر وهـو مـا يسـميه جيدنز ثنائية التركيب والتي تتوافق مع وجه نظرالأنثروبولوجيين اللغـويين الـذين يعتبرون أن الكلام ليس فقط وسيلة لتمثيل واقعيـة اللغـة المسـتقلة ولكـن أيضـا مصدرا فعـالا في إعادة إنتـاج الواقـع ،الاجتمـاعي وبالتـالي علاقـات القـوة والتبعيـة موجـودة، كما أن مـا كتبـه جيـدنز عـن الإقليميـة كتقسـيم للزمـان والمكان حسب علاقتها بالممارسات الاجتماعيـة الروتينيـة ذا صـلة وطيـدة بمـا يكتبه الأنـثروبولوجيون اللغويون الذين يحللون كيف يستعمل الأشخاص في تبادلاتهم اليومية وفي تواصـلهم مـع بعضـهم الـبعض الكـلام وأيضـا المـوارد الأخـرى مثـل المـوارد الماديـة والبيئـة العمرانيـة والأدوات الموجـودة ..إلـخ. (Duranti.1996.64)

ولعـل هـذه العلاقـة الوطيـدة بـين الأنثروبولوجيـا اللغويـة والنظريـة الإثنوميثودولوجية والنظرية البنيوية التركيبية هي ما تفسر أسباب اعتماد الدراسـة الحالية عـلى هاتين النظريتين.

٢- تطور التوجهات النظرية في الأنثروبولوجيا اللغوية(*)

مسـبقا لابـد مـن الاعتـراف بصـعوبة تتبـع تـاريخ التفكيـر والممارسـة في الأنثروبولوجيا اللغوية linguistic anthropology، ومصدر تلك الصعوبة قلة بل

(*)هذا الجزء جهد لعمل مشترك بين الباحثه وزوجها الباحث خليل عبد الرازق .

وندرة الكتابات العربية في الأنثروبولوجيا اللغوية (الألسنية) وتاريخها، ومن ناحية أخرى الأنثروبولوجيا اللغوية لم تكن تخصصا قائما في ذاته إلا في المدرسة الأمريكية الأنثروبولوجية، وعلى الناحية الأخرى من المحيط الأطلنطي، سواء المدرسة الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية (الأخيرة يمكن العثور عليها بوضوح في المدرسة الأمريكية في نسختها البواسية- نسبة لبواس-)، لم يكن هناك تخصص واضح المعالم مقارنة بالمدرسة الأمريكية، وإن كانت بكل الطبع هناك ممارسات جادة ومؤثرة لبعض الأنثروبولوجيين في تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية، وهذا أمر يجعل تتبع أعمالهم أمرا بالغ الصعوبة في التحصل على تاريخ خاص بالتحولات في الممارسة والنظرية للأنثروبولوجيا اللغوية« الألسنية». ويضاف إلى هذا إشكالية أثارها ديل هايمز نفسه حين أرخ(**)للأنثروبولوجيا اللغوية، أنه لم يكن هناك حسب وصف العديد من المشتغلين بالعلوم الإنسانية تاريخ لعلم الأنثروبولوجيا اللغوية، لأنه لم يكن هناك موضوع حتى يدرس تاريخيًا»،- يقصد أنثروبولوجيا لغوية-». (Dell. H. Hemys. 1983. ix.)

لكن وللحقيقة- يضيف ديل هايمز- هناك ممارسات ومنجز أنثربولوجي موضوعه اللغة، وهناك «علم اللغة» قد نمي بشكل ملحوظ في العقد أو العقدين الأخيرين، وتقاطع المجالين علم اللغة ومنجز الأنثربولوجيين في موضوعات اللغة له تاريخ، ولم يكن له مؤرخون .راجع كذلك الجزء الخاص بألساندرو دورنتي في هذا المبحث.

هذا فضلا عن إشكالية أخرى ربما تضاف لصعوبة التأريخ للأنثربولوجيا اللغوية، وهو التصنيف باسم سوسيولغويين في تصنيفات مؤرخي العلوم الإنسانية والإجتماعية للممارسين في حقل اللغة الاجتماعي؛ خاصة في إسهام الأنثروبولوجيا الإجتماعية، وهو مصطلح يدل على مجهودات الأنثروبولوجيين

(**) وهو لا يعتبر كتابه تاريخ بقدر ما هو رد دين لمنجز اللغويين والانثروبولوجيين اللغويين وإسهاماتهم (**Dell Hymes, 1983: ix.**)

الإجتماعيين وعلم اللغة الاجتماعي في إنجلترا- وكذلك بعض الأنثروبولوجيين الأمريكيين كما سيتكشف في فقرة لاحقة، والذي يرجع تاريخ ظهوره في بريطانيا كمصطلح حسب التقديرات إلى أوائل عام ١٩٦٠م. (Johan E. Joseph. 2002: 107) وانظر كذلك (E. F. K. Koerner.2005: x)، فقد يصنف أحد الأنثروبولوجين اللغويين كـ ديل هايمز- على سبيل المثال لا الحصر- بوصفه سوسيولغوي (Bryan S. Turner. 2006:549)، وأخيرا مشكلة تعريف العلم بمصطلحي الأنثروبولوجيا اللغوية linguistic anthropology، اللغوية الأنثربولوجية anthropological linguistics (Duranti. Alessandro) 1997. 1)، فالمصطلحان تم استخدامهم دون تمييز في الماضي، وأي محاولة حسب تقديرات دورنتي لإيجاد فروق دلالية أو عملية قد تقود إلى خطر إعادة كتابة تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية نفسه. (ألسندرو دورانتي، ٢٠١٣: ٢٠)(*).

في تلك المساحة الضيقة المخصصة لمعالجة تاريخ الأنثروبولجيا اللغوية، سيكون من غير المجدي التوسع هنا في بحث تاريخ «علم اللغة»، ذلك الذي نصادفه في أعمال دي سوسير ومن سبقه ومن هم لاحقون عليه من علماء اللغة حتى نصل إلى «تشومسكي» على سبيل المثال لا الحصر(**)، لكن معالجة «دي سوسير» لعلاقة اللغة بالأنثربولوجيا تبدو مهمة في معالجة تاريخ

(*) راجع هامش رقم ١ ص ٢٠.

(**) لموجز تاريخ علم اللغة في الغرب، راجع: ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة - في الغرب-، ترجمة، أحمد عوض، عالم المعرفة(المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، الكويت، ١٩٩٧م. وكذلك انظر: ، وري هاريس، تولبت جي تيلر، أعلام الفكر اللغوي- التقليد الغربي من سقراطي إلي سوسير- ترجمة: أحمد شاكر الكلابي، ج١، ط أولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م. وكذلك انظر: جون إي جوزيف، نايجل لف، تولبت جي، أعلام الفكر اللغوي- التقليد الغربي في القرن العشرين-، ترجمة: أحمد شاكر الكلابي، ج٢، ط أولي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٦م. مع ملاحظة أن الأخير خصص الفصل الأول لمعالجة اسهام الانثروبولوجي سابير، و الفصل الخامس للانثروبولوجي جي آر فيرث، وهذا يكشف عن تعقيدات الخلط بين فروع علوم اللغة، سواء تلك التي قامت علي يد انثربولوجيين او علماء لغة.

الأنثروبولوجيا اللغوية، والعلاقة المبكرة بين الحقلين المعرفيين، فقد خص سوسير في جانب من نقاشة مسألة علاقة علم اللغة (علم اللسان) بالأنثربولوجيا وعلم ما قبل التاريخ؛ فهو يرى: «أن هناك وهم كبير في إمكان سماح اللسان بالإلمام بعلم الأنثروبولوجيا وبالإثنوجرافيا Ethnography والإطلال على ما قبل التاريخ»، ويتوسع في النقاش، فمن الخطأ عنده: « الاعتقاد أنه من اشتراك جماعة في اللسان نستطيع أن نستنبط اشتراكهم في القرابة أو العصب...أو أن الفصيلة اللسانية تقتضي وجود علاقة أنثربولوجية ما... ويبدو أنه لا يمكن أن تكون هناك علاقة ضرورية بين جماعة مشتركة في اللسان وبين القرابة الدموية. فمن المحال أن نستنتج واحدة من الأخرى. ونتيجة لذلك ليس من الضروري في أي أحوال كثيرة تتفق فيها شهادة الأنثروبولوجيا وشهادة اللسان، أن نقابل بينهما أو أن نفضل إحداهما على أخرىال. فلكل شهادة قيمتها الخاصة» (دي سوسير، ٢٠٠٨: ٣٣٠، ٣٣٠)، وهو بكل الطبع يعالج قضية فكرية معاصرة له خاصة تلك التي جعلت هناك علاقة وثيقة ما بين العرق واللغة، خاصة في مدرسة الفيلولوجيا الألمانية- فقه اللغة-، وهي مسألة سوف يتوسع فيها «فرانس بواز» لاحقًا في هذا الجزء من النقاش. هذا لا يعني أن الأنثروبولوجيين اللغويين لم يستفيدوا أو يستفاد منهم في تخصص علم اللغة، لكن التشديد هنا على التمييز بين الحقلين، وفي طرائق العمل.

وعلم اللغة يملك تاريخا خاصا وطويلا لم ينته، لهذا تتجنب الباحثة مثل هذا المبحث، لتوجه الورقة البحثية مباشرة نحو معالجة الأنثربولوجيين المسألة اللغوية من الناحية التاريخية، ويمكن في البداية اعتماد قسمة جغرافية في تناول الموضوع، ما بين الأنثربولوجيا الأوربية، والأنثروبولوجيا الأمريكية، وهي قسمة تفرضها ممارسة الأنثربولوجيين تاريخيًا، فتعلقت أوربا أكثر بمفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، في حين اعتمدت المدرسة الأمريكية الثقافة مفهوما أساسيا في عملها، ليعاود تاريخ الأنثروبولوجيا نفسه تفتيت مثل تلك

الجغرافية، وهو ضرورة تفرضها اللحظة التاريخية الخاصة ببداية الحرب الباردة وانتهاء الحرب العالمية الثانية، وتقارب المدارس الفكرية فيما يعرف بالاسم «ما بعد- حداثة». وإعادة النظر في الممارسة الأنثروبولوجية برمتها، وانقضاء زمن الإمبريالية العسكرية، وانتهاء صلاحية المفهوم إنسان بدائي، واستبدل التمييز بدائي/ متحضر، بـ عالم متقدم/ عالم ثالث للتعبير عن الفروقات الثقافية، خاصة في مجال الإنتاج الصناعي والاقتصادي، ووسعت الأنثروبولجيا من موضوعها، لتبحث الثقافات الريفية والمدنية/ الحضرية، لتضعها على قدم المساواة في القيمة، وإن ظلت الفروق ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وأروبا في التعاطي مع مصطلحي ثقافة ومجتمع لا تقل خطورة، وإن اختلفت منصات المنطلقات المعرفية.

أ- أوربا- المدرسة الأنثروبولوجية الإجتماعية:

لعل أشهر أو أقدم من اهتم باللغة في المدرسة الأنثروبولوجية البريطانية، كان البولندي «مالينوفسكي» Malinowski، في بحثه المبكر« **مشكلة المعنى في اللغات البدائية**»، والذي كان ملحقا بكتاب « معنى المعنى/ **دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية**» الذي ألفه «تشارلز كي أوغدن»، و« آنفر أرمسترونغ رتشاردز» في بداية القرن الـ ٢٠، تحديدا العام ١٩٢٣م.(*) (أوغدن، ورتشارد، ٢٠١٥م) وانظر كذلك (Bronislaw Malinowski. 1984. PP. 228: 276) ، وكتاب أوغدن و رتشارد عده مالينوفسكي التجربة الأولى التي ينتقل فيها «علم العلامات» لحقل عمل اللغة« اللِسانيات» واعتبرهما بذلك يؤسسان علما جديدًا للرمزية، وجده معينًا له على حد تعبيره: « فيما جمعه في العمل الميداني وسط القبائل الملاينزية في غينيا الشرقية الجديدة، والتي أنجزتها في لغتها الأصلية من نصوص: صيغ سحرية، وفقرات شعبية، وحكايات، ومقتطفات من محادثات، وعبارات لمن اخترت من

(*) أوغدن و رتشارد، معنى المعنى- دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، ترجمة، كيان أحمد حازم يحيى، ط أولى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٥م.

رواة ،اللغـة بّين مالينوفسكي» الصعوبات التي تواجه الإثنولوجي في دراسـة لغـة المجتمعات البدائية- حسب وصفه-، **فالمشكلة** الأولى: حسب تقديره، كانـت مشكلة الترجمة عن اللغات البدائية إلى اللغـة الإنجليزيـة – أو أي لغـة آخـرى مـن اللغات الأوربية-، لغة البدائي عنده، تحمل معان لتجارب مختلفة عن التجربة في المجتمع الإنجليزي، من هنا شدد على أن تنقل اللغة والتجربة التي تقصدها طالما لا يتوافر المعادل الواقعي لهـا، وهـذا يتطلـب « وصـف إثنـوغرافي دقيقـي لعلـم اجتماع هذه التجمعات المحلية، وثقافتها، وتقاليدها». **والمشكلة الثانيـة**: حسـب تعبيرات مالينوفسكي: « وهي أن الطريقة بتمامها التي تستعمل بها اللغـة المحليـة مختلفة عن التي نستعمل بها لغتنا. إذ يفتقر مجمل البناء النحوي في اللسان المحلي إلى الدقة والتحديد اللذين يتمتـع بهمـا بناؤنـا النحـوي، وإن كـان مُعبـرا تمامـا بطرائق مخصوصة معينة. ثم إن ثمـة أدوات غيـر قابلـة للترجمـة إلى الإنجليزيـة تضفي نكهة خاصة على الأُسلوب المحلي. وتنطوي الجمل عـلى بسـاطة مفرطـة تخفي قدرا لا بأس به من التعبيرات، كثيرا ما تُحرز بواسطة الموقع والسياق. وإذا ما عدنا إلى معنى الكلمات المنعزلـة، أمكننـا أن نقـول إن اسـتعمال الاسـتعارة والبدايات المقترنة بالتجريد والتعميم والغموض المرتبط بحسية تعبيرية مفرطة- كل تلك السمات تُعيي أية محاولة لترجمة بسيطة ومباشرة. فعـلى علم الأعـراق أن ينقل هذا الاختلاف العميق والدقيق في آن في اللغة وفي الموقف الذهني الكامن وراءها والمعبر عنه خلالها.»(**أوغـدن، ريتشـارد.٢٠١٥، ٤٥٢، ٤٥٣**)، ويمكـن اعتبار ملاحظة اختلاف التجربة الثقافية والاجتماعية بين الثقافات التي قدمها هي أكثر ما كان له حضورا في نقاشات اللغة أنثروبولوجيا فيما بعد، وكـذلك في قضـية الكتابة الإثنوجرافية نفسها.

«إن الوظيفة الحقيقية للغة عند مالينوفسـكي:« ليسـت التعبيـر عـن الأفكـار، وليست تكرار مطابق للعمليات الذهنية، لكنها مهيأة للعب فاعلية نفعية في السلوك الإنساني، هذه الوظيفة الأولية للغة، واحدة من القـوى الرئيسة للثقافة ومسـاعدة

في تجسيد الأنشطة الثقافية في الواقع، هي عنصر لا غنى عنه في تضافر جميع تفاعلات الإنسان، هنا أريد باختصار أن أبين ما أعنيه» هكذا يختتم مالينوفسكي جملته. بكل الطبع لم يكن مسعى مالينوفسكي هو تقديم ممارسة من شأنها فهم اللغات البدائية فقط، ولكن مشروعه كان طموح ليشمل اللغة في أي موقع كانت لتوافر شرط النفعية حتى في اللغات المتحضرة بحسب تعبيره: «حتى ثقافتنا ترجع لشروط نفعية في الفعل الثقافي بحيث لا يمكن فهم اللغة إلا في سياقها الثقافي الخاص، الذي توجد فيه والذي يسميه السياق الفعلي والذي يكشف بدوره عن الخبرة والموقف والذي حدده بمصطلح «**سياق الموقف**» وهو بالغ الأهمية في عملية الترجمة ومشكلاتها سالفة الذكر (Bronislaw Malinowski. 1935: 11)، ولقد كان لهذا المفهوم الجديد سياق الموقف أثر كبير عند اللغوي الإنجليزي فيرث(*) الذي لعب دورا هام في تطوير نظرية السياق بشكل فعال، التي أصبحت المحور الذي تدور عليه دراسة المعنى.ونجده يبين أهمية مالينوفسكي ومساهمته الفعالة في تقدم الدرس اللغوي ليس من وجهة النظر الأنثروبولوجية فقط، بل يوصفه أحد صانعي الدراسات الأنثرولغوية في إنجلترا (**كريم زكي، ٢٠١٠: ٢٩**) **راجع كذلك تجربة «ج. ر. فيرث» و«سياق الموقف»: (جون إي جوزيف، ٢٠٠٦، ١٠١)**.

مالينوفسكيلم يكن تأثيره فقط على الأنثربولوجيين، بل امتد إلى الإسهام بدور كبير في علم اللغة، خاصة في الجانب الوظيفي للغة، وكذلك الدراسة الإثنولغوية و وجدت أفكاره عن النظرية الوظيفية في اللغة قبول عند Kroeber (J.R. Firth: 1960. 100) أستاذ الأنثربولوجيا الأمريكي وأهميتها مقارنة بالمنهج التاريخي المقارن السائد في المدرسة الامريكية. ويعتبر إسهام مالينوفسكي وجاردنير في نظرية الموقف بالإضافة إلى «ج. ر. فيرث» ساعدت في تنمية الدراسة الوصفية في علم اللغة.(J. R. Firth: 1959. 102)

(*) لم يوضح كريم زكي اي فيرث يقصد، هل يقصد ريموند فيرث، ام يقصد ج.ر. فيرث، وعلي اي حال جز رز فيرث هو من كان له اسهام كبير ضبط مفهوم سياق الموقف.

بكل الطبع هناك أسماء آخرى لها إسهام في الأنثروبولوجيا اللغوية في المدرسة الإنجليزية، ولكن يتحدد ظهور الحقل الفرعي الأنثروبولوجيا اللغوية بعد انعقاد اجتماع جمعية الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية(.A.S.A) عام ١٩٦٧م في مؤتمرها الذي خصصته لموضوع اللغة (Edwin Ardener. 2006 xi:)، وهو التاريخ الذي بدأ مصطلح علم سوسيولغويين فيه الظهور والاستخدام (د. هدسون، ١٩٩٠، ١٢)، لكن كل ما يمكن أن يقال وبشكل موجز عن الممارسة الأنثربولوجية في أوربا أنها لم تفسح المجال في وقت مبكر لوجود فرع مختص قائم بذاته موضوعه اللغة في الأنثربولوجي، فتبدو ملاحظة بالغة الأهمية أنه مع حلول العام ١٩٣٩م لم يكن هناك في الامبراطورية البريطانية غير ٢٠ أنثروبولوجي مختص (Adam kuper. 1983. 70.)، في حين الولايات المتحدة الامريكية عندما تشكلت الجمعية الأنثربولوجية الأمريكية(.A.A.A) سنة ١٩٠٦ كانت تشتمل على مائة وخمسة وسبعين عضوا، يضاف إلى ذلك سهولة الحصول على التمويل في أمريكا مقارنة بأوربا، حتى بعد ذلك حين تأسست جمعية الأنثربولوجيين الاجتماعيين (.A.S.A) في بريطانيا سنة ١٩٦٤ لم يكن بها سوى ٢١ ممن يتمتعون بعضوية كاملة(توماس هيلاند إريكسن: ٢٠١٤، ٩٧) ربما مثل تلك الملاحظة ما كانت لتسمح قلة العدد، مضاف لها ضعف التمويل، بالتنوع في التخصصات الفرعية للأنثربولوجيا في أوروبا وبريطانيا على وجه الخصوص، هذا إذ ما أضيف ظرفي الحرب العالميتين وأثرهما خاصة في ألمانيا وفرنسا على المؤسسة العلمية، لكن الأمر كان وبشكل واضح أن هناك ممارسات من أنثروبولوجيين لدراسة اللغة في الثقافات والمجتمعات التي كانت موضوع لأبحاثهم، على سبيل المثال لا الحصر:

ليفي شتراوس من أهم وجوه المدرسة الفرنسية، ويمكن تتبع أطروحته للأنثروبولوجيا اللغوية في كتابه «الإناسة البنيانية» (Claude Lévei- Strauss. Structural Anthropology. 1963.)، ربما تكون إجابته «لست ألسنيا» حين

سئل عن مشروعه المشترك مع جاكبسون، في تحليل إحدى قصائد بودلير(كلود ليفي شتراوس: ٢٠٠٠، ٢٥٩)، أو اعترافه «أنه أنثربولوجي اجتماعي يجهل أمور اللسانيات، فقد اقتصرت على ربط بعض الخصائص البنيوية المُحتملة... ببعض سمات نظم القرابة» (ليفي شتراوس، ١٩٩٥، ٧٩)، مثل تلك العبارات مصدر قلق في علاقة شتراوس واللغة واعتبار إسهامه ينسحب على التجربة الأنثرولغوية، وهل وفر طرح أنثروبولوجي لدراستها؟ ولكن ما يبقى وما لا يمكن إنكاره أنه أولى اللغة أهمية في مشروعه الأنثروبولوجي بشكل عام، ولا يخفى على الدارسين في الأنثربولوجيا أن المنهج البنيوي الذي ذاع به صيت ليفي شتراوس، هو منهج ابتكره اللغويين، خاصة إسهام عالم اللغة الأمريكي -الروسي الأصل- «رومان جاكبسون» حيث سيصبح علم اللغة البنيوي الخاص به الدعامة الأساسية لعمل ليفي شتراوس(توماس هيلاند إريكسن، ٢٠١٤: ١٨٦)، واستفاد منه في دراسة القرابة في الثقافات البدائية- والبدائية تعني لشتراوس معان مختلفة عن تلك التي تبناها مالينوفسكي وتايلور من قبله، وكتابه «الفكر البري» يحتفي بمثل هذه المفارقة كما هناك منطلق آخر عند شتراوس في اهتمامه بعلم اللغة، ذلك المنطلق هو الجدل ما بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وأن العلوم الإنسانية والاجتماعية ليست في العلم من شيء وهو جدل لم ينته، فقد رأى شتراوس أن علم اللغة قوض تلك الجدلية باستخدامه أدوات وفرت له التمكن من الوصول لقوانين من شأنها أن تطبق على الظاهرة الإنسانية قوانين من شأنها التمثيل في شكل مجرد وصارم، كالذي نجده في العلوم الطبيعية.(كلود ليفي شتراوس، ١٩٩٥، ٨٣)، وستكتفي الباحثة هنا بما قدمه في كتابه التأسيسي «الإناسة البنيانية»، حيث أفرد لعلاقة اللغة بالأنثربولوجيا خاصة في الجزء الأول من الكتاب فصلا لمعالجة العلاقة بين اللغة والأنثروبولوجيا، وعنوانه Language and Kinship (Claude Lévei- Strauss. 1963:31)، يعلن «شتراوس» عن أهمية علم اللغة، ووصفه بأنه أحد فروع العلوم الاجتماعية، وينبه على ضرورة التعاون بين الأنثروبولوجيين واللغويين – وهي علاقة كانت موجودة وانفصلت ويحاول

الأنثروبولوجيون اللغويون إعادة وصلها (شتراوس، ١٩٩٥، ٨٣)، خاصة في ضوء المنجز الذي حققه علم اللغة من تطور ودقة في استخدام المنهج والتحليل، واعتبر أن ما أنجزه «شرادر»- عالم لغويات- يبدو بالغ الأهمية في مساعدة العلوم الأنثربولوجية الاجتماعية في دراسة مشكلات القرابة، فعلم اللغة «يضع بمتناول الأنثربولوجي اشتقاقات لغوية تُمكنه من إنشاء روابط بين بعض مفردات القرابة لم تكن ملحوظة علي نحو مباشر»، وكذلك الأنثربولوجي يوفر للباحث الألسني معرفة « تقاليد وقواعد وضعية وتحريمات تساعده على أن يفهم كيف تظل بعض سمات الكلام ثابتة علي وجه واحد، وكيف تفقد بعض المفردات أو مجموعات المفردات الثبات والاستقرار» لكنه وفي موقع لاحق، يعلن أن التعاون بين العلمين مازال غير مكتمل وكل علم يعمل باستقلالية تامة عن العلم الآخر، وأرجع سبب هذا التباعد بين العلمين، إلى « أن يكون هذا الموقف مبررا في وقت كان يعتمد فيه البحث الألسني علة التحليل التاريخي...أما بالنسبة »للبحث النياسي« كما كان يمارس في الفترة نفسها- بدايات القرن العشرين-، فقد كان الفرق فرقا من حيث الدرجة أكثر مما هو من حيث الطبيعة، فكان الألسنيون يتبعون منهجا أشد تماسكا وصرامة، وكانت نتائجهم بالتالي أشد إحكاما، وكان بوسع الاجتماعيين أن ينسحبوا على منوالهم بأن « يتخلو عن جعل التوزع المكاني للأجناس الراهنة أساسا لتصنيفاتهم»، لكن الإناسة والاجتماعيات ما كانت تنتظران من البحث الألسني، في نهاية الأمر، إلا أن يلقنهما الدروس تلقينا. فلم يكن ثمة ما يوحي بأن العلاقة به قد تسفر عن كشف أو عن إلهام». إلى هذا الحد يكون نقاش شتراوس معلق بإمكان الاستفادة المتبادلة بين علم اللغة من جهة والأنثربولوجيا من الجهة الأخرى.(شتراوس،١٩٩٥، ٤٥).

يعول شتراوس على حضور منهج البنيوية اللغوية والتي غيرت الموقف ، ولم تكتف بتجديد آفاق النظر الألسنية ... فهو تحول لا يقتصر على فرع معرفي بعينه، لقد كان للبنيوية اللغوية أن تقوم في مجال العلوم المجتمعية بنفس الدور

التجديدي الذي قامت به الفيزياء النووية...في العلوم الدقيقة. (شتراوس، ١٩٩٥، ٤٥)، إن هناك أربعة مساعي أساسية، فالبنيوية تنتقل في المقام الأول: من دراسة الظاهرات الألسنية الواعية إلى دراسة بنيتها التحتية اللاواعية.ثانيا: ثم أنها تتجنّب معالجة المفردات بوصفها كيانات قائمة بذاتها، وتتخذ بالعكس من العلاقات القائمة بين هذه المفردات أساسا لتحليلها، ثالثا: كما أنها تُدخل مقولة السستام فالفونيمات الحديثة في وضعها الراهن لا تقتصر القول بأن الظاهرة الصوتية تنتمي دائما إلى نظم System، بل أنها تبين نظم صوتية معينة تكشف عن بنيتها. وفي النهاية: تسعى البنيوية اللغوية إلى اكتشاف قوانين عامة إما عن طريق الاستقراء وإما عن طريق الاستنتاج المنطقي مما يضفي عليها طابع الإطلاق» (Claude Lévi- Strauss. 1963. 33).

يبدو هنا أن شتراوس جلب منهج علم اللغة البنيوي إلى الأنثروبولوجيا، وأسس به ما عرف باسم الأنثروبولوجيا البنيوية، فهو يرى أن هذا المنهج يساعد في فهم المجتمعات الثقافية، دون تمييز ما بين متحضر وبدائي، فهو يرى أن مصدر قصور الفهم في تقديم تبصرة لنظم القرابة الذي وضح في أعمال الأنثربولوجيين الآخرين، وعلى رأسهم راد كليف ، وأن فهمها بعيدا عن اللغة هو سبب مثل هذا القصور، فتسميات مثل الأب والأبن والخال والأم، لها ما يمثلها في اللغة، والكشف عن العلاقة بين تلك المسميات هو كاشف للعلاقات البينية فيما بينها، خاصة وأن اللغة عند ليفي شتراوس، هي لغة المتكلمين، تلك اللغة غير الواعية ، بنظمها الصوتية وبنيتها النحوية التي تشغل بال اللغويين، فالقرابة كما يبين شتراوس هي علاقة تواصلية في وجه من الوجوه، « فالأنثروبولوجي الذي يبحث في السمات الأساسية لبعض نظم القرابة المتبعة في عدة مناطق من العالم، بوسعه أن يحاول ترجمتها إلى شكل فيه من العمومية ما يكفي لاتخاذ معنى من المعاني، حتى بالنسبة للألسني. أي بما يُمكن هذا الأخير من تطبيق نمط التشكيل نفسه علة وصف الأسر الألسنية المرعية في المناطق المذكورة نفسها. فإذا ما تّم هذا الاختزال الأولي، يستطيع كل من اللسّان والأنثروبولوجي أن يتساءلا عما إذا

كان من الممكن، أم لا، ضبط بعض صيغ الاتصال المختلفة- قواعد الزواج وقرابة من جهة، وكلام من جهة أخري- على نحو ما تخضع للمعاينة في المجتمع الواحد، ببعض البنى اللا- واعية المماثلة لها. فإذا جاء الجواب بالإجاب كان لنا أن نتأكد من أننا قد توصلنا إلى شكل أساسي بالفعل من أشكال التعبير. وهو الخطأ الذي وقع فيه كل من اللغويين والأنثروبولوجيين التقليديين، «يكمن في تناولها للمفردات، لا العلاقات القائمة بين هذه المفردات.

يضيف ليفي شترواس إسهامه في علاقة اللغة والأنثربولوجيا، بأن هناك بعض الأسئلة التي يجب طرحها، وأن هناك مجموعة من الأسئلة بأبعاد مختلفة ضرورية ولم تطرح، **البعد** الأول: الاهتمام بالصلة القائمة بين لغة معينة واحدة وثقافة معينة واحدة. هل أن دراسة ثقافة من الثقافات تستوجب معرفة بلغتها؟ إلى أي حد إلى أية نقطة؟ وبالعكس، هل تنطوي معرفة اللغة على معرفة بالثقافة، أو على بعض جوانبها على الأقل؟ **البعد الثاني**: عن الصلة القائمة بين الكلام والثقافة بوجه عام. يُبدي شتراوس ملاحظة، أن النقاشات لم تطرح موقف الثقافات من لغتها ... فمعظم الثقافات التي نسميها بدائية، تستخدم الكلام بالتقتير. فالمرء لا يتكلم فيها في أي وقت كان. كما أن التعبيرات اللفظية كثيراً ما تقتصر فيها علي بعض الظروف المعلومة، فلا يتكلم المرء خارج الظرف إلا بمقدار. **البعد الثالث**: هو علاقة الأنثروبولوجيا وعلم اللغويات بوصفهما علمين،... ذلك أن مشكلة الصلات بين الكلام والثقافة هي من أعقد المشكلات ... قد يكون لنا في البداية أن نعالج الكلام بوصفه نتاجا من نواتج الثقافة: فنقول اللغة المرعية الاجراء في مجتمع معين أنها تعكس ثقافة القوم العامة. لكن الكلام، بمعني آخر، جزء من الثقافة. فهو يشكل عنصرا من عناصرها إلي جانب عناصر اخري ... فبا ستطاعتنا أيضا أن نعالج الكلام بوصفه شرطاً من شروط الثقافة، وذلك على نحوين: أولهام تعاقبي، إذ ان الشخص الواحد إنما يكتسب ثقافة مجموعة بوساطة اللغة بشكل خاص. فالبشر يربّون أطفالهم ويعلمونهم عن طريق

الحكي ... الكلام يبدو شرطاً من شروط الثقافة ... فكلاهما مبين بواسطة عدد من التضادات والاعتلاقات ... بوسعنا ان نعتبر الكلام كناية عن ركيزة معدة لتلقي واستقبال البني التي تتجاوب مع الثقافة من مختلف جوانبها. علما ان البني المذكورة قد تكون أحيانا أعقد من بني الكلام، وإن كانت من نفس نمطها.(**كلود ليفي شتراوس، ١٩٩٥، ٨١، ٨٢**).

ب- **المدرسة الأمريكية، الأنثروبولوجيا اللغوية:**

علي الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وعلي يد مؤسس الأنثربولوجيا هناك «**فرانز بواس**» وواضع فروعها، تم اعطاء اللغة مجال أوسع، واعتبرت الأنثربولوجيا، في التصنيف الأمريكي تنقسم إلي أربعة فروع، أنثربولوجيا طبيعية ، أنثربولوجيا ثقافيةوأنثروبولجيا لغوية وأنثروبولوجيا أثرية (Adam. kuper. 2005. 93)، وقد ساهم بواس في تخريج جيل جديد من الأنثروبولوجيين، تولوا برعايته مهام ترسيخ الأنثربولوجيا في الجامعات الامريكية المختلفة، وبقي هو في جامعة كولومبيا منشغلا بالاثنولوجيا واللغة (Fredrik Barth. 2005. 263)، ويبدو أن هناك حركة تاريخية في تصنيف اللغات الأمريكية تمت على يد بعض العلماء، وتوسعت فيما بعد وبشكل علمي علي يد مجموعة من علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين، مثل سابير ، وكروبر ، وديكسون ، ورادين الذي حاول أثبات العلاقات التاريخية بين اللغات الأمريكية (Franz Boas. 1940. 211) وجميعهم تلامذة فرانز بواس، والذي خصص بدوره فصل لمناقشة اللغة وعلاقتها بالعرق في كتابه « عقل الإنسان البدائي»، (Franz Boas. 1921: 124) وتلخص عمله الأرشادي، والذي خصص له الفصل الخامس بعنوان العرق واللغة بوضع السؤال الأول هل اللغة تعبر عن النمو العقلي؟ يطرح سؤاله التأسيسي عن علاقة اللغة بالعرق، وهل هناك مثل تلك العلاقة؟ لا شك أن بواس يعالج قضية كانت تشغل التفكير الأوربي- بوصفه ألماني مهاجر إلي أمريكا-، بتفوق الجنس الآري وتفوقه على باقي الأعراق

البشرية، وهي فكرة وجدت مجالها بعد النتائج التي توصل لها التطوريين، عن أصل تطور الجنس البشري، وهو بدوره يبحث عن مخرج لمثل هذا المأزق، الذي ستكون نتائجة كارثية بعد فترة ليست بالبعيدة علي يد النازية.

يقارن بواس بين تصنيف «بلومنباخ» (Franz Boaz. 1921. 126) للجنس البشري، ما بين قوقازي ومانغولي وأثيوبي وأمريكي وفي الختام مالاوي وهو تقسيم جغرافي يعتمد مظاهر تشريحية جعلته غير موفق في عزل مجموعات هي في الأصل تنتمي لنفس العرق، وهناك تصنيف هيُكسلي والذي تعتمد على لون البشرة في التمييز والتصنيف بين الأعراق، وهو الأكثر مماثلة للواقع والملاحظة في الأجناس البشرية حسب تقدير بواس نفسه، ويؤكد بواس بالتخلص من خرافة التفوق العرقي أن التصنيف المبدئي الذي أعتمده فريدريك موللر بالاعتماد على الشعر في تصنيف الأعراق البشرية، وباقي التصنيف مصدره الاعتبارات اللغوية ، يطرح ملاحظة مبدئية؛ أن تغير اللغة لم يكن مرتبط بخاصية عرقية، فالزنوج تغيرت لغتهم وثقافتهم وفقا للغة جيرانهم من الأوربيين في الأمريكيتين، حتي أن التغيرات الثقافية واللغوية الأوربية الحديثة عن القروسطية دليل على أن العلاقة منقطعة بين اللغة والعرق. وعلي نحو آخر هناك وحدة عرقية قد تشمل بعض الجغرافية الأوربية، ومع هذا يُلحظ تنوع ثقافي وقومي ولغوي كذلك، مثل تلك التنوعات ما بين الألمان والإيطاليين والفرنسيين، ويعرج علي جدل جديد، فقد تتغير السمات التشريحية نتيجة للهجرات، ومع هذا تحتفظ تلك الثقافات بلغاتها القديمة، كما حدث مع بعض الثقافات الهندية في أمريكا الشمالية، وهو يبدي ملاحظة تخص منهجة الأثير، فمن المعروف أن المدرسة الأمريكية تتبني المنهج التاريخي في دراستها الأنثربولوجية، فهو يبدي قلق خاص في عدم توفر أدلة تاريخية تثبت صحة فرضيته حول التغيرات الجسدية لبعض القبائل نتيجة لاختلاطها بقبائل أخرى ومع هذا مازالت محتفظة بلغتها الأصلية، ويطرح مثالا جيدا في توضيح فكرته، في التغير الجسدي والتغير اللغوي، وثبات أحدهم وتغير الآخر، فشمال

أفريقيا، يتحدث العربية، ومع هذا هناك تغيرات في التشريح الجسدي للاختلاف مع السكان السابقين، ومع أن ثمة تغير في مظاهر التشريح، إلا أن اللغة مازالت محافظة على وجودها، هنا يضع بواس مثلث فكرته، اللغة، الثقافة، العرق، وأنه قد يتغير أحدهم ولا يتغير بالضرورة الاثنان الآخرين، ومن هنا يشكك بواس في فكرة تصنيف البشر نفسها يعتبر أن المسافة بين اللغة والثقافة أقرب ما ،تكون في حين أن علاقة اللغة بالعرق هي أبعد ما تكون، لأن اللغة والثقافة من نفس النوع- بوصفهما مكتسبين-، ويبقى السؤال الأكثر أهمية لديه، وهو معلق بالنظرية الانتشارية، وهو السؤال عن اللغة الأولى والثقافة الأولى المعزولة، أم أن هناك ثمة مجموعات ثقافية ولغوية؟، ينتقد بواس بعض الآراء والأفكار المعاصرة له حول لغة الإنسان البدائي، وتصنيفها دون ذكر أسماء بعينها، ينتقد تلك الفكرة التي تدعي أن لغة الإنسان البدائي لا تمتلك تمايز صوتي واضح، ولا تملك قوة التجريد، والتي اعتبرت من خصائص لغة البدائي، من هنا تأتي ضرورة عرض هل ترتبط فعلا مثل تلك المقولة بأي لغة من لغات البدائي؟ هذا بالضرورة يقود إلى دراسة الخصائص العقلية المزعومة للتفوق العرقي (Franz Boas. 1921. 140)، النقطة الثانية، هي عدم قدرة لغة البدائي على التصنيف والتجريد، هنا يتم الوقوع في خطأ؛ محاولة مطابقة عاداتنا في التصنيف الخاصة بلغتنا، ووجهة النظر تلك، ومن ثم، كأنها معيار طبيعي، في حجة النظر لتصنيفات لغة البدائيين. يحدد بواس اللغة حسب وصفه: « أن اللغة البشرية أنها تتكون من ثلاثة جوانب أساسية، ١- الأصوات ، ٢- النحو ، ٣- المفردات (Franz Boas. 1940. 2013)، ويضيف كذلك: «وحتي يكون واضح لعقولنا أن ما يشكل عناصر كل اللغات، أنها مجموعة من الأصوات والتي هي أساسية وموجودة في كل اللغات لنقل الأفكار، وكل مجموعة من الأصوات لها معني ثابت، واللغات تختلف ليس فقط في عناصرها من الحروف الصوتية... بل وكذلك في مجموعة الأفكار التي تعبر عنها بمجموعة الأصوات الراسخة، وبكل عناصر التوليفات الصوتية اللفظية الممكنة والغير محدودة، لكن بعدد محدود للتعبير عن الأفكار، وهذا يعني

الإجمالي للأفكار التي يعبر عنها بالمجموعة الصوتية المميزة محدودة العدد، وسنطلق علي مجموعة الصوتيات هذه « جذر- الكلمة» .

جذر- الكلمة، تفتح المجال أمام بواس لمناقشة، جدلية الفردي والجمعي في الثقافة، فاللغة تظهر الخبرة الشخصة طالما كان الإنسان يفكر، ويظهر تفكيره عبر اللغة والتي هي محددة، والشخصية تمتلك مفرادتها من جهة، ومنخرطة في تجربة لغوية مشتركة من جهة أخرى، من هنا تأتي القواسم المشتركة التي تعززها اللغة بمحدوديتها بجذر- الكلمات، من هنا تأتي التجارب الفكرية الفردية والتي تظهر لنا كممثلين نفس الفئة الفكرية. وعلى أي حال نقاش بواس موضوع اللغة مرتبط بشكل كبير بمفهوم «الثقافة» وعالمية سماتها والتي يري أنها فكرة عالمية، وتجمع التجارب الإنسانية وتنطبق عليها دون تمييز، فليس هناك ثقافة عليا وأخرى أدنى كتلك التي تطرحها الأفكار التطورية(Franz Boas. 1921. 155).

موضوع اللغة في الدراسات الأنثروبولوجية الامريكية كان قائماً على دراسة لغة شعوب الأمريكيتين بالأساس وقد خصصت المجلة االدولية للغات الأمريكية- - لهذا الغرض، وأول أعدادها ظهر في العام ١٩١٧م. (Franz. Boas. 1940. 199) ويعتبر بواس أن الصعوبة الأساسية في دراسة اللغات الأمريكية هي «مشكلة تسجيلها وتصنيفها » ويستعرض بواس منجز سابقية في توثيق اللغات الهندية، وأنها لم تكن مدربة بشكل كاف، ومن ثمة بدأت تظهر إنطباعاتهم الشخصية فيما يدونوه من معلومات عن لغات الثقافات الأمريكية الأصلية، وهنا يقترح آليات جديدة من شأنها ضبط عملية التدوين والدراسة، وذلك لتحقيق فائدة أكبر في جمع اللغات الأمريكية، ذلك عن طريق تدريب خاص لجامعي المادة العلمية، «لأن اللغة المكتوبة تختلف عن اللغة المنطوقة»، ونظرًا لتغير مورفولوجية اللغات الأمريكية نتيجة للتبادل الثقافي مع الجيران من الإنجليز أو الإسبان...إلخ، ومع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك بعض الثقافات التي لم تكن على مقربة من مستعمرات الرجل الأبيض، يجعل فكرته الأولى: في جمع اللغة

هي الاعتماد على الجيل الأكبر عمرًا في جمع المادة اللغوية، لأنها ذات فائدة مزدوجة، الأولى: التعرف على اللغة القديمة، والثانية: في التعرف على التحولات في اللغة، وهو مطلب أساس في دراسة اللغة عند بواس، **وثاني أفكاره**: عن جمع المادة الإثنوجرافية للغة، هو توسعة مجالها نفسها، فلم يعد الأمر مقبولا لديه، أن يقتصر الأمر على جمع الأشعار والقصص الفلكلورية، وينصح بتوسعة المجال ليشمل الحوادث اليومية والمحادثات اليومية والوصفات الصناعية، والتقاليد **والفكرة الثالثة**: هي الأخذ بعين الاعتبار في تصنيف وتسجيل اللغات، هو العمل على المقارنة بينها، بقصد الكشف عن العلاقات التاريخية بين اللغات، والذي يعين حسب تصوره في الكشف عن الأصول المشتركة للغات الأمريكية، كما تفيد فكرته الثالثة في تجنب المنزلقات التي تكتنف البحث العلمي- من يقصد هنا يبقى محل سؤال- وهو بالضرورة يقصد التوجهات العلمية التي تمايز بين البشر، ما بين أجناس متقدمة، وأخرى بدائية، ومفادها وضع نمو اللغة في الاعتبار في جمع المادة اللغوية وتحليلها، وهذا مبحث تاريخي داخل اللغة نفسها، والوضع في الاعتبار الاستعارات الثقافية في اللغة، ومتجنبًا في ذات الوقت سؤال جينالوجيا اللغة ، لأن الأمر وبطريقة بواس سوف يؤدي إلى عدة مصادر، لأنه لا توجد ثقافة نقية دون علاقات ثقافية تاريخية. وهو مع هذا لا يريد أن يساء فهمه بأنه ينكر وجود الأسرة اللغوية والذي يكشف عن العلاقات التاريخية بين اللغات، وهو لا يدعي وجود أدلة على العلاقات التاريخية بين الثقافات الأمريكية، « لهذا من الواقع والنظرية التاريخية، باشتراكهم في العمل يمكن الكشف عن العلاقات التاريخية التي تظهر نفسها في عدد كبير من المشكلات اللافتة»، كما لم يغفل أهمية جمع الملاحم الشعبية في لغتها الأصلية، وكذلك الأشعار، والتي يجب أن تدرس في ضوء علاقتها بالموسيقى الأصلية للثقافة، والذي يجب دراستهما مجتمعتين (Franz. Boaz. 1940. 210).

نهاية، يمكن القول أن فرانز بواس، حدد طرائق جمع اللغة من الميدان بمجموعة من الأدوات، واعتمد المنهج التاريخي في تحليل البيانات التي يجمعها

من ميدان البحث، وهي منهج منافس للوظيفية التي سادت في الأنثروبولوجيا الاجتماعية الإنجليزية، حيث اعتبر «راد كليف براون» أن الجدل المنهجي ليس بين المدرسة التطورية والمدرسة الإنتشارية، بقدر ما هو بين المدرسة الوظيفية والمدرسة التاريخية (adam kuper. 1983. 4)، كما أولى أفكار المدرسة الانتشارية اهتماما كبيرا في عمله على اللغة والثقافة، و خَلّص عبر الحجة، التفكير من أوهام المدرسة التطورية آنذاك، في التفوق العرقي لبعض الأعراق والتي انسحبت على مناقشة اللغة البدائية، واعتبارها أقل في المستوى من لغة الإنسان المتحضر عند المدارس العلمية الأخرى، كما أعطة أهمية للفروق الشخصية في استخدام اللغة، وهذا ما يؤشر عليه اهتمامه بتوجيه العمل الميداني لتوثيق المحادثات اليومية والأحداث اليومية برمتها، والمجاز اللغوي الذي خصص له فصلا لمعالجة المجاز اللغوي عند Kwakiutl (Franz. Boaz. 1940. 232). كما عول كثيرًا على منهج الدراسات المقارنة في الكشف عن العلاقات بين اللغات في الأمريكيتين.

ألفرد كروبر تلميذ فرانس بواز، أنثربولوجي ممن لهم إسهام في الأنثروبولوجيا اللغوية كما سبق القول، وهو أحد الذين ساهموا في إصدار مجلة « المجلة الدولية للغات الأمريكية» ، وسبق الإشارة أنه توافق ومالينوفسكي في وظيفية اللغة، وتأتي شهرته بكتابه المشترك مع كلايد كلاكهون عن مفهوم الثقافة (Culture. A Critical Review of Concepts and Definitions: 1952)، ويمكن تتبع أثر منجزه في الأنثروبولوجيا بإسهامه في تعيين بعض آليات عمل الأنثروبولوجيا في حقل اللغة، وضبطه لبعض المفاهيم المستخدمة في الأبحاث اللغوية، وطرق تصنيفها، وبصعوبة يمكن تفهم منجزه بعيدا عن التعرض لمفهوم الثقافة الوثيق الصلة لديه بمفهوم اللغة نفسها، يؤكد كروبر أن الثقافة هي ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية، فالمجتمع ليس خاصية إنسانية بشكل حصري، فالنمل والنحل والطيور في أعشاشها تعيش في مجتمعات، لكنها لا تعرف الثقافة،

هذا لا يعني أنه ينكر وجود المصطلح اجتماع أو مجتمع، فالثقافة لا يمكن لها أن توجد إلا بوجود المجتمع، لكن ما يرفضه هو أن يكون مفهوم المجتمع هو موضوع الأنثروبولوجيا، وعلى النقيض الثقافة هي موضوعها الحصري، فالمجتمع والذي يظهر في تعريف تايلور للثقافة، أو المساواة التي يضعها بين الوراثة الإجتماعية ومفهوم الثقافة، أو ما يطلق عليه لوي كل التقاليد الاجتماعية« هي تلك الحدود التي يقبل فيها استخدام مفهوم المجتمع، ويتجنب كروبر مصطلح heredity في التعبير عن فكرة التوريث الثقافي، لأنه ينتمي لحقل علم الأحياء، ولتجنب الانزلاق في ربط الثقافة بالطبيعي والعرقي يستبدله بالمصطلح inheritance المرادف له، والذي يقترب من مفهوم التقاليد الاجتماعية، واللذان يجعلان التركيز في العمل الأنثروبولوجي على كيفية اكتساب الثقافة، ويعرف كروبر الثقافة: « هي جميع الأنشطة الغير فسيولوجية التي ينتجها الشخوص البشرية والتي لا تكون رد فعل تلقائي أو غريزي ...وتتكون الثقافة من أنشطة مشروطة ومكتسبة بالتعلم(بالإضافة إلى ما ينتجونه كأفراد).» (A. L. Kroeber. 1948-252-253). وللثقافة مجموعة من الخصائص، على رأسها أنها مركب يجعلها أكثر انفتاحا وحركة في تقبل استمرار التقاليد وكذلك إضافة صيغ أخرى جديدة عبر تلاقي الأجيال في عملية التوارث الثقافي والتجديد في آن واحد، كما لا يمكن فهم الثقافة بوصفها ثقافة نقية لم تتأثر أو تؤثر في غيرها من الثقافات، لكن؛ على العكس تمام تظهر الثقافة استعارات ثقافية من الثقافات الأخرى مما يجعلنا أمام ثقافات هجينة وهذا بدوره يفتح المجال لتقصي العلاقات التاريخية بين الثقافات، وانتشارات الصيغ والعناصر الثقافية، ومن خصائص الثقافة الاستمرار ، وهي إشكالية تتعلق بالتغير الثقافي والجمود الثقافي، برغم انقضاء بعض الثقافات وتغيرها مثل الثقافة الرومانية، وهذا لا يعني عند كروبر أن الثقافة الرومانية قد انتهت من الوجود بالكامل، فلا يعني انتهاء تاريخ دولة أو أمة أن تكون ثقافتها قد زالت كليا، فقد توجد بعض عناصرها في أوربا إلى الآن، وهناك ملاحظة حول الاهتمام بخاصية الاستمرار الثقافي، هو التمييز بين الاستمرار في

التاريخ والاستمرار في الجغرافيا، وهي تفتح المجال لتفهم الانتقال الثقافي سواء في الاستمرار التاريخي، أو الانتقال الثقافي عبر العلاقات بين الثقافات المختلفة، كما أن الجغرافية لها تاريخها الخاص. كما تمتاز الثقافة أو الثقافات ببنيتها المتماسكة، لكنها في نفس الوقت تحمل داخل بنيتها ثقافات فرعية داخلية، كالتمايز بين الذكوري والنسوي، وكذلك الأجيال العمرية المختلفة، والطبقات الاجتماعية، والثقافة توحد بين حامليها عبر التنشئة الاجتماعية، وهي تقولب حامليها وتصيغهم بما يحملونه من المظاهر الثقافية التي يكتسبونها من ثقافتهم، ولم يفوت كروبر أن يعالج الوظيفية في الثقافة ، وهي قضية وجدت طريقها للأنثروبولوجيا الثقافية، والفروع الأخرى من علم الإنسان، ويتعلق مفهوم وظيفة لديه بالنشاطات أو العمليات التي هي من طبيعة الثقافة الإنسانية، ويجده مفهوم غامض على الأقل في المعطي المعجمي للكلمة، خاصة في ارتباطه بالعلوم الطبيعية التي تقبل العمل التجريبي للتحقق من فرضيتها عن وظيفة أحد الاعضاء البشرية، لكن؛ ويستمد ما خلص إليه لينتون في فض مثل ذلك الاشتباك، إن استخدام مفهوم «الوظيفة» في المجال الثقافي، يعني أن السمة الثقافية، أو المركب الثقافي، هي ما يمكن ملاحظة بالحواس ووصفه بموضوعية، والمعني أن الذات الفاعلة في الثقافة، صريحة وضمنية في ذات الوقت، تستخدم علاقتها مع معطيات المجتمع والثقافة، كما يعبر عنها في مصطلح علوم الطبيعة، الوظيفية هي ضمن حدود المجتمع والثقافة، بهذا يتصور الثقافة ومجتمعها بالجسد ويتم البحث عن وظيفية العناصر الثقافية داخلة، ينمي كروبر عبر الأمثلة المتنوعة والاسئلة كذلك، أن وظيفية الثقافة أو العنصر الثقافي متنوعة، ليس فقط على مستوي تنوع الثقافات، بل هي متنوعة داخل الثقافة الواحدة والسياق الثقافي الواحد نفسه ويعطي مثال ساذج على أطروحته، فاكليل الزهور تتنوع وظيفته داخل الثقافة الغربية، تارة يعبر عن الفرح في الزفاف، واخري عن الحزن في حالات الوفاة، أو النصر...إلخ، بهذا ترتبط الوظيفية في الثقافة بالمعنى ، وهذا ما يميز الوظيفية بين العلوم الطبيعية والأنثروبولوجيا، وهو البحث عن المعني، وتعدد التفسيرات التي قد تطرحا

الثقافة وظيفياً. (A. L. Kroeber. 1948. PP. 252- 310)، إن العلاقة بين الثقافة واللغة ما كانت لتفهم في عمل كروبر إلا بعرض بعض من ملامح مفهوم الثقافة في تراثه الفكري، فكل من المجالين يعبر عن الآخر، كما لو كانا وجهي عملة واحدة.

عرف كروبر مفهوم **الأسرة اللغوية** الذي سبق وألمح إليه فرانس بواز بالمفهوم أسرة لغوية - تم ذكرها في فقرة سابقة- وهذا المفهوم يعني عند كروبر، إن السؤال الذي يطرحه المؤرخين والأنثربولوجيين مرارا وتكرار، هو سؤال علماء الفيلولوجيا عن علاقة اللغات فيما بينها. سؤال عن تلك العلاقة، والاتصال، والتي تعني الإنتساب لمنبع واحد ومشترك، أو جد مشترك، من الواضح أن المجموعات التي يتحدثون عنها- اللغات الهندو/ أوربية يقصد في حقل علم الفيلولوجيا-، ربما في أحد الأزمان كانت على صلة وثيقة، أو لعلها شكلت شعب واحد، لكن؛ وهو مبرر غير كافٍ، فمن ناحية أخري، قد يكون هناك لغتين لشعبين مختلفتان كليا، علي الرغم من أصلهم العرقي الواحد، وتماثل ثقافتيهما، وهو أمر يعضدّه الواقع، هكذا يقول كروبر... « وربما يكون مرجع ذلك إلي ضغط الغزو، أو الهجرة، أو أي حدث تاريخي آخر، الذي جعلها تتخلي عن لغتها لصالح اللسان الأجنبي، وقد يكون العكس صحيحًا، فقد يكون هناك مجموعتان منفصلتين كليا ومتمايزتان في كثير من النواحي، لكن؛ يدخلان في إتصال، وتتداخل ثقافتيهما، وبالتناسل، مظاهرهم الجسدية الطبيعية يتم استيعابها في سمة طبيعية واحدة، في حين تظل اللغة مختلفة».

بكل الطبع يحذر كثيرًا من أن يساء فهمه، في استخدامه لمفهوم الأسرة اللغوية، وأن يكون قد أعترف بعلاقة ما بين اللغة والعرق، وهو أمر أصبح علي يد فرانس بواز، كما سبق وتم توضيحه، منقطع الصلة، فلا أثر للعرق على اللغة، وهناك ثمة مفاهيم تحمل نفس المعني أسرة لغوية ومرادفة له، ويقدم كروبر حدود تعريفه لمفهوم الأسرة اللغوية بأنها: « كل مجموعة لغوية نشأت من مصدر

واحد، وفقط بهذا المعني، وأي تجمع آخر سوف يشار له بعبارة مثل، لغات في حد ذاتها، ونسبتها للمكان، وأسرة فرعية ، قسم من أسرة أو لغات غير مرتبطة ومتماثلتين في النوع

ما هي الحدود الواجب توفرها في اللغة لتوضع في التصنيف أسرة اللغوية؟ يتسائل كروبر، ويضع تلك الحدود في العلاقة الموجبة لمثل هذا التصنيف، يقترح أن المقارنة هي المنهج المناسب لمثل ذلك الفحص، فلابد من توفر مجموعة كبيرة من الكلمات المتشابهة، وكذلك تشابه شكل النحو بين اللغتين بوضوح، تكونان متشابهتين بشكل كافٍ، وباختصار يؤكدان أن التشابه ليس مجرد مصادفة، وتؤكدان أن تشابه الكلمات والشكل لابد وأن يعودان لمصدر مشترك، وألا يكون هذا المصدر الواحد هو استعارة لغة من الأخري، واللسانين مرتبطتين بمنبعهم الواحد اللغوي، لو أن المقارنة فشلت في التحصل علي أي درجة من التشابه، تصنف اللغتين في أسر متمايزة. إن المشكلة ليست بتلك السهولة واليسر، يضاعف كروبر المشكلات المتوقعة في ضوء معرفته الميدانية، وفهمه عن ثقافات الأمريكيتين، وخاصة التحولات الثقافية، فالأجيال، وحركة التاريخ التي تنقصه الأدلة عليها كما نقصت في يد استاذه بواس، تطرح مشكلة التغير اللساني نفسه، إلي الحد الذي يصعب معه الكشف عن العلاقات بين اللغات ذات المصدر المشترك، والتي ينسحب عليها مفهوم الأسرة اللغوية، ويستطيع تصنيفها بالتالي بشكل دقيق، فهو يبدو قلق من ضم أو إخراج لغة من أسرتها اللغوية، لهذا يضع شرطين أساسيين في عملية التصنيف في ضوء المخاوف السابقة الذكر. **الشرط الأول**: يجب أن تكون اللغتين، متشابهتان، ومتماثلتان أو متطابقة في الأصوات بإنتظام، **الشرط الثاني**: كما يجب أن تكونان متشابهتين أو متماثلتين في المعني، هذا الشرط المزدوج، يحمل على قدم المساواة، سواء كلمات، أو أجزاء من كلمة، والجذرور اللغوية، ومضاهات الأشكال النحوية.(A. L. Kroeber. 1948. 208).

لم يفوت كروبر أن يطرح مسألة علاقة اللغة بالثقافة، ليعرج منها مباشرة ليعالج

مشكلة القومية واللغة والثقافة، فاللغة والثقافة مترابطتين بلا شك، فلا يمكن تخيل إحداهما بمعزل عن الأخري، من الصعب تصور أي تفكير من دون وجود الكلام، أو حتي المعتقدات الدينية، وكذلك التنظيم الإجتماعي نفسه يحتاج إلي الكلام، والترتيب الطبقي والقوانين والزواج والقرابة، حتي الصناعات التقليدية البسيطة تحتاج في عملية تعلمها الي الكلام، « وهو إتفاق علماء الانثروبولجيا أن اللغة نشأت بتعلقها بالثقافة»، كان بالطبع لصعود مفهوم الثقافة أن يطرح السؤال علاقة اللغة بالثقافة أو أنها جزء من الثقافة، وبمجال أعمق عن عمليات انتقالها، وآلية نموها، لكن ومن منطلقات أخري، قد تتماثل ثقافة شعبين، لكن تبقي هناك فروق جوهرية في لغة الكلام، من هنا يتولد الشعور بالاختلاف القومي. وعلى النقيض قد تكون اللغة واحدة أو على الأقل متشابهة كما في المثال انجلتر وأمريكا نفسها، لكن مصدر الشعور بالهوية القومية، مصدره الوحدة السياسية والمؤسسات، فالقومية هي في الأساس شعور بتمايز الوحدة الوطنية، وترسم الحدود ما بين داخل المجموعة البشرية وخارجها، من هذا تكون القومية ذاتية بشكل أساسي، حتي وإن تشابهة اللغة والثقافة، من هنا يبين كروبر خطورة الدعاية القومية المعاصرة آنذاك، والتي تدعي أن اللغة مؤشر الهوية علي الوحدة القومية، وكذلك الثقافة والعرق بنفس المقدرا، وهو ما يرفضه كروبر ويكافح ضده بالتفنيد، خاصة في ظروف بدايات القرن الماضي، وحربيه الأولي والثانية، خاصة مع ظهور مصطلحات مثل القومية والأمة ، ومفهوم الأمة كان يحمل معني مزدوج حسب القاموس: شعب تحت حكومة واحدة، والتي هي الجسم السياسي، والمعني الآخر: أمة هي شعب من أصل مشترك التقاليد واللغة. ويبدو أن المعني الأخير هو ما انسحب على مفهوم القومية، وهو مصدر قلق كروبر نفسه، من كونه معني مغلوط، وتعطي الأمثلة الواقعية التي يسوقها كروبر تنوع شديد في مماثلة المفهوم للواقع، علي سبيل المثال سويسرا، أمة واحدة وتنوع لغوي ما بين الألمانية والفرنسية، الهند المستقلة حديثا، تنوع لغوي شديد، وحسب رأيه وحدتها السياسية مهددة بضغط مثل هذا التعدد اللغوي، وتبقي عبارة أخيرة

يضعها كروبر ليحدد عمل الأنثروبولوجيا في حقل اللغة بشكل خاص وميدان الانثربولوجيا بشكل عام، وفي النهاية، الأنثروبولوجيا وبشكل مباشر مهتمة بالقومية أكثر من الأمة، مشغولة بالعرق أكثر من المجموعات السياسية، وفي القوميات والوحدات العرقية، تكون اللغة موروثة، وغالبا الجذر واحد.

تبقي مسألة أخيرة في إسهام كروبر في موضوع اللغة، بوصفها مجال للعمل الأنثروبولوجي، توفر الملاحظة والعمل الإثنوجرافي فرصة جيدة في تفنيد مزاعم التفوق الثقافي واللغوي للثقافة الغربية، وذلك بما توفره الإثنوجرافيا من جمع كلمات اللغات في الثقافات المتنوعة، وذلك بالعمل الإحصائي لعدد الكلمات المستخدمة في الثقافة نفسها، بالرغم من الإنسان يتكلم لغة ثقافته، إلا أنه ليس بالضرورة يستطيع أن يُلم بكل المفردات اللغوية لثقافته، من هنا تأتي أهمية المعجم، وأهمية دراسة اللغة نفسها في الاستخدام الكلامي داخل الثقافة نفسها، شكسبير بكل ما له من أهمية في الآداب الإنجليزية لم يستخدم إلا ٢٤.٠٠٠ كلمة، والكتاب المقدس يشمل استخدام ٧٢٠٠، هذا بالضرورة، وبالعمل الميداني يكشف أن حاملي الثقافة لا يستخدموا كل المفردات اللغوية التي توجد في ثقافتهم، وهي مفارقة تطرحها حاجة الانسان للمعجم اللغوي داخل ثقافته، هذا بدوره ينطبق علي الثقافات اللا- كتابية، فالادعاء بأن كم الكلمات في الثقافات البدائية قليل، فالعمل الميداني ووثائق المبشرين والرحالة وقواميس اللغة للثقافات اللا- كتابية تعطي إحصاء للغات يؤكد العكس، فعلي سبيل المثال قبيلة النافهو الأمريكية تسجل ١١٠٠٠ كلمة، والزولو في أفريقيا سجل لها ١٧٠٠٠ كلمة، وبكل الطبع ترتبط حجم اللغات بتعقيد الثقافة، فالثقافات الأكثر مناشط ثقافية وأدوات وعلاقات مع الثقافات الأخري، ولابد أن تكون حصيلتها اللغوية أكبر مقارنة بالثقافات الإنعزالية، والتي يكون تعقيداتها الثقافية أقل في الأدوات والتنوع الإنتاجي والصناعي...إلخ.(A. L. Kroeber. 1948.pp 230-231) من هنا ترتبط الثقافة باللغة عند كروبر ويؤشر احدهما على الآخر.

إدوارد سابير- Edward Sapir هو الحلقة الثالثة في إسهام المدرسة الأمريكية

في حقل الأنثربولوجيا اللغوية، وهو تلميذ فرانز بواس، وزميل لـ كروبر، نحي إدوارد سابير منحي جديد في الأنثربولوجيا اللغوية وإن لم يكن بعيدًا عن توجهات المدرسة الأمريكية، خاصة في الإعتماد على علم النفس في دراسة الثقافة، ففي نفس اللحظة التي تظهر فيه ملامح مفهوم «الشخصية» عند «روث بنيديكت» و«مارجريت ميد»، يضع سابير الشخصية الفردية موضع بحث في الأنثرولغوية، فاللغة وإن كانت خاضعة كليا للثقافة إلا أنها في ممارسة الأفراد يُلمّح فيها خصوصية تميز كل فرد في الثقافة نفسها، تعبر عن تفرده الشخص داخل الجماعة الثقافية، في إستخدام اللغة وطرائق الكلام، وهذا يتجلي بشكل أساسي في عمله التأسيسي« اللغة» مشروع كتابه وعنوانه(Edward Sapir. 1921.).

إدوارد سابير Edward Sapir يطرح للنقاش البداهة المتعلقة بالتصورات حول اللغة في الوعي العام الغير علمي، ليحاجج تصوراتها، بطرح البداهة التي تحتكر اللغة كموضوع للنقاش، فمن البديهي أن الإنسان مجبول على الكلام ، أنه طبيعي كالمشي، وبطريقة أقل كالتنفس، حتي هذه اللحظة عليها اقناعنا أن طبيعية الكلام ليست إلا شعور واهم فالكلام، هو خاصية ثقافية للإنسان، واللغة ليست طبيعية كالمشي، وإن كان بكل الطبع أن كل شخص مقدر له التكلم، لكن التقاليد الثقافية هي التي تتحكم في تعلم الكلام وليس الطبيعة البيلوجية، وهو يعطي نموذج المشي بوصفه خاصية طبيعية، فالإنسان مهيئ بشكل طبيعي لذلك، فاذا ولد الإنسان في البرية وقدر له الحياة بكل الطبع سيمشي(*)، لكن؛ علي الناحية الأخري لو نزع الإنسان من جماعته الأصلية، ونشأ في محيط إجتماعي آخر، لابد

(*) يبدو ان مارسيل موريس، يمتلك وجهة نظر أخري، في مسألة طبيعية المشي، فهو يري أنها أيضا ترتبط بالسياق الثقافي الذي تنتمي إليه، وهو ما قدم له الأمثلة في بحثه" تقنيات الجسد"، فخطوة السير المعتادة للجنود الانجليز تختلف كلية عن ما اعتاده الجنود الفرنسيين، بل ووجدوا صعوبة في محاكاتها. أنظر، مارسيل موس، تقنيات الجسد، ترجمة، حسن احجيج، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية- في تقدير الممارسة الفكرية لمارسل موس، تنسيق وتقديم، يونس الوكيلي، مؤمنون بلا حدود ١ فبراير ٢٠١٦م، ص، ١٦٧.

وأنه سيكتسب كلام الثقافة التي نشأ فيها، « فالكلام ليس غريزي لكنه وظيفة «ثقافية» مكتسبة» ، ويفرق سابير بين الأصوات الإنفعالية في حالة الألم على سبيل المثال والكلام، فالأول عفوي لا إرادي، في حين الكلام قصدي ونوع من أنواع تبادل الأفكار، لأنه لو تم أعتبار العفوي من الأصوات نوع من أنواع الكلام لأنه ينقل فكرة هنا سيكون المأزق الذي يود الخروج منه سابير، فهذا معناه أن اللغة في تعريفها هكذا؛ سوف تنسحب لتغطي أي نوع من أنواع الإستدلال- على المعني يقصد-، وبهذا سيكون التعريف بلا معني، وهو يعدد الأمثلة الرمزية للدلالة على مقاصده، ذلك بأن الثقافة والمحيط الثقافي مسؤول عن معني الكلام ومقاصده، فقد تتشابه بعض النماذج لكن يبقي المعني محدد بالثقافة التي يوجد فيها، وبتاريخها الخاص في مثال يطرحه، عن رسم النار في الثقافة اليابانية والإنجليزية، وهو منظر طبيعي جدًا، لكن الذي يحدد معناه في الثقافتين، هو تاريخ العادات الثقافية ولا شئ آخر، فربما تتشابه الأصوات لكن؛ تبقي الخصوصية محكومة بالثقافة لا الطبيعي- العفوي/ اللا-ارادي- في الأصوات أو الشكل. ويعرف اللغة بأنها « الطريقة الإنسانية اللا-غريزية في تواصل الأفكار، والعواطف، والرغبات، بواسطة النظم الطوعية في توليد الرموز. هذه الرموز في المقام الأول، سمعية تنتج بما يسمونه أجهزة الكلام ، علي هذا النحو ليس هناك أي أساس فطري- غريزي- واضح في الكلام الإنساني، ومع هذا التعبيرات العفوية والبيئة الطبيعية قد تكون بمثابة محفزات لتنمية بعض عناصر الكلام بلا شك، والكثير من الميول الغريزية، وبقوة الدفع، ربما تكون قد أعطتها مجموعة محددة سلفا، أو نموذج للتعبير اللغوي، هكذا التواصل الإنساني أو الحيواني، اذا لو أمكن تسميتها «تواصل»، اذ ما جاءت عفوية، وصرخات غريزية أنها في فهمنا ليست لغة على الإطلاق». ويقصد بالجهاز الكلامي بكل الطبع ليست فقط الأعضاء المسؤولة عن إصدار الأصوات كالرئة واللسان والحنجرة والشفتين...إلخ، بل هناك أجهزة أخري كالجهاز السمعي والعصبي...إلخ، وجميعها مسؤولة أو لها دور مهم في عملية التواصل. وجوهر اللغة عند سابير، أنها تنصاع للتقاليد، والتلفظ الواضح،

والأصوات، أو من في حكمهم، لعناصر متنوعة من الخبرة» الثقافية بكل الطبع.

خصص الفصل الأول من كتاب اللغة للغة وتعريفها، وخصص الفصل الثاني لعناصر الكلام وبنيتها التي تتكون من الكلمات والتي لا تعني شيء في حد ذاتها بمعزل عن الثقافة التي توجد فيها، فهي تتألف من مجموعة من الأصوات، التي يأتي معناها بكل الطبع من التوافق الثقافي على معناها الرمزي، وهي وظيفية في تبادل الأفكار أثناء التواصل، ويعول كثيرًا سابير علي فهمه للفظة غناء في توضيح مقاصده من وراء اعتبار الكلمة من عناصر الكلام، خاصّة في دعم فكرته عن الفردية وأهميتها في اللغة ومن ثمة الثقافة، وهو منحي متأثر بالحركة الفكرية الأنثربولوجية الأمريكية آنذاك، التي أعطت للفرد أهمية في تأويل الثقافة، ومن ثمة فهمها، فالغناء يمنح عبر التعبير اللغوي تنوع مماز لكل شخص في الثقافة، هل تقدم – الأغنية يقصد-تطابق بسيط بين المفهوم- اللغوي- والمعني التعبيري للغة؟ هذا فضلا عن السعة الدلالية للكلمة الواحدة والتي قد تعني أكثر من معني وفقا للموقف. واختصاراً لما يرمي إليه سابير يقول: « ونحن يمكننا أن نضع المسألة باختصار بالقول أن عناصر اللغة الأصيلة –الموروثة- والنحوية المستنبطة من واقع الكلام، وردا علي مفاهيم العالم المعرفية، المستخلصة من واقع الخبرات، وتلك هي الكلمة، تلك الوحدة المعاشة في الحياة المعيشة، مستجيبة للواقع المعاش بالإمساك بالخبرة التاريخية، الخاصة بالفن. والجملة مطابقة منطقية لمجمل الاعتقاد فقط، إلا أنه يستشعر أنها مكونة من العناصر الأصيلة والنحوية تلك التي تتواري في أعماق الكلمات، وهذه هي المماثلة النفسية، الخاصة بالفن، حين تُشعرك، كما لو أنها في الواقع طبيعية، كانتهاء لعب كلمة مع كلمة. والعنصر الثاني في الكلام، البنّاء النحوي وهي عمليه تجريدية للكلام نفسه اذا ما اردنا رصدها في الكلام، والنحو هو سمة عالمية للغة، كل اللغات بطبيعتها تميل الي الاقتصاد في التعبير.

علي أي حال أهم ما يقدمه سابير في درسه الأنثرولُغوي، هو إعطاء أهمية لبحث

الكلام الفردي في الثقافة، كما وسع النقاش حول علاقة اللغة بالفكر، وقد رأي أن الفكر يعتمد علي اللغة الخاصة التي يتكلمها الفرد، وقد مايز بين مفهومي الخيال والفكرة، فالشيء الذي يسبق الكلام...ليس فكرا إنما هو تّصور. ويسلم سابير بأن التصور بحد ذاته مرحلة ما قبل اللغة، ولكن عندما نبدأ بإعمال الذهن في التصور تظهر الكلمات بشكل لا مفر منه...وبغض النظر عما فعله سابير بهذه المسألة... فإن الفرضية القائلة إن الفكر يعتمد علي اللغة بشكل عام ليست أكثر من متطلّب لما أصبح يعرف فيما بعد بفرضية « ورف- سابير»(**جون إي جوزيف،٢٠٠٦، ٣٢، ٣٣.**)

ويعتبر عمله الرائد« اللغة» من أهم الأعمال في الأنثروبولوجيا اللغوية، حيث عالج في فصوله المتنوعة، مسائل، اللغة، عناصر الكلام، الأصوات في اللغة، شكل اللغة: العمليات النحوية، شكل اللغة: مفهوم النحو، أنماط بنية اللغة، اللغة كمنتج تاريخي: التدفق، اللغة كمنتج تاريخي: قانون الصوتيات ، كيف تؤثر اللغات في بعضها، اللغة العرق والثقافة. اللغة والأدب. وأعتمد سابير المنهج الإثنوجرافي في عمله في دراسة اللغة، وكان متأثرًا بالمنهج التاريخي كباقي المدرسة الأمريكية آنذاك، وهو ما توضحه بعض عناوين الفصول في كتابه «اللغة».

هنا تتوقف الباحثة في بحث إسهام جيل الرواد، ويصبح التمييز الجغرافي غير ذي معني، خاصة بعد انقضاء حقبة الإمبريالية بصورتها القديمة، والتصاق الأنثروبولوجيا بالاستعمار، وأصبحت النظرة لموضوع البحث الأنثروبولوجي في حاجة لأطر ومناهج جديدة في ضوء حركات التحرر والاستقلال التي شغلت خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وأصبحت الحدود بين العلوم محل شك، وليس أدل علي ذلك، من دعوة الأنثربولوجي الأمريكي كليفورد جيرتز بطمس الحدود الفاصلة بين التخصصات الاكاديمية (**أدم كروبر، ٢٠٠٨، ٢٢٤**)، وأصبحت الأثنوجرافيا آخذة في التغيير...لم يعد هناك ثقافات محافظة مقيدة بانتظار أن يصفها المراقبون خلال ظرف لا زمني، أي الحاضر الإثنوغرافي فقد

تغير العالم: وأصبح في مرحلة ما بعد الاستعمار. ولم تعد بالإمكان المحافظة علي أنماط التفكير التحليلية التي تطورت أثناء الحقبة الاستعمارية...فالعالم الثالث تداخل في المدن الكبري، وفي عالم حيث الثقافات هجين، وجميع الحدود الثقافية مخترقة ومعترض عليها، لم تعد المفاهيم التقليدية للثقافة ذات معني. فـ نحن كلنا نسكن عالم أواخر القرن العشرين الذي يعتمد بعضه علي بعض، والذي يمتاز بالاقتباس والاستعارة عبر حدود وطنية وثقافية منفذة، مشبعة بالظلم، والقوة، والهيمنة. ويمكن الاطلاع بشكل موسع على التحولات الجوهرية في انثروبولوجيا ما بعد الستينات علي الفصل المعنون استجواب السلطة في كتاب تاريخ الانثربولوجيا لـ توماس اريكس وفين سيفرت (**توماس هيلاند إريكسن، ٢٠١٤،** ١٩٩) وأثر الماركسية علي الانثربولوجيا، وأصبحت موضوعات مثل التمييز النوعي الذكوري/ النسوي، والمهمشين، وخطابات الهيمنة محل اهتمام، وأصبحت الموضوعية إرث لا يعول عليه، وأصبحت الذاتية محل اعتراف في عمل الإثنوجرافي.

لاشك أن إسهامات الجيل اللاحق والمعاصرين من الأنثرولغويين تتسق والتاريخ الذي تنتمي له، وأصبحت التخصصات أكثر قربًا عما قبل، وبعض الأسماء حققت شهرة في مجال الأنثروبولوجيا اللغوية، وكان لأعمالهم من الشهرة والذيوع أن اللغويين إستفادوا منها في دراستهم للغة، ويأتي على رأس من تقدم الطالبه هنا لأعمالهم، ديل هايمز ، والذي أصبح الآن له مدرسته الخاصة للحد الذي الذي يوجد معه ما يعرف باسم الهايمزيين الجدد - نسبة له-(Ben Rampton. 2007)، والاسم الثاني جمبرز وهو معاصر لديل هايمز، ودخل بالدرس الأنثرولغوي الي آفاق جديده، كدراسة استراتيجيات الخطاب، وختامًا، إلساندرو دورنتي Alessandro Durant خاصة في معالجة لتاريخ العلاقة بين المصطلحات أنثروبولوجيا لغوية، واللغوية في الأنثروبولوجيا ومصطلح سوسيولغوية.

٣- الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم إجتماع اللغة:

جون جوزيف جمبرز ، شغل منصب أستاذ فخري في قسم الأنثروبولوجيا بجامعة بيركلي وهو أخر منصب تقلده قبيل وفاته ٢٠١٣، وبدأ حياته في علم اللغة، وكان لإسهامه دورا كبير في علم اللغة والسوسيولغة والأنثروبولوجيا اللغوية، وكذلك الأنثروبولجيا الحضرية ، بنحته المصطلح **الاجتماعية اللغوية التفاعلية**، وهو من أهم إسهامات جمبرز في دراسة اللغة والتي وجدت طريقها في كتابات الأنثروبولجيين، وقد كان لجمعه بين التخصص في علمي اللغة والأنثربولوجيا، أن استطاع دمج مناهج متنوعة أصبحت الآن مناهج متكاملة: البناء النظري مع البحوث التجريبية، المسائل اللغوية مع الحقائق السوسيوثقافية... النص مع السياق، الخطاب مع الأثنوجرافيا، التحليل التأويلي للباحث مع التأويل من داخل الثقافة نفسها. بهذه الطريقة، يكون عمل على تنمية منهج جديد لدراسة وتفسير داخل- والبينـ ثقافية والعمليات اللغوية في مجتمعات متعددة اللغات ومتعددة الثقافات في ثلاث قارات(Susan L. Eerdmans. 2003. 1).

وفرت الظروف لجمبرز العمل مع مجموعة علمية متنوعة التخصصات في اوائل الخمسينيات من القرن الماضي، في قري شمال الهند، والتي إنمازت بوضوح التفاوت الطبقي، والذي جعله يطرح السؤال: ما هي العلاقة بين المجموعات المتنوعة سوسيوثقافيًا والإختلافات اللغوية؟، وأهم بعض النتائج التي توصل لها جمبرز في أبحاثه المبكرة كما يراها Aldo di Luzio: أ) اطناب ومحدودية اللغة المتغيرة تكون محددة وتظهر في التفاعل ، ب) تصور المتكلمين أو تعريفهم لتكافؤ أو تنوع اللغة لا تعتمد علي الإنتماء الوراثي، جـ) مجتمعات الكلام ليست متماثلة لغويا، د) الاختلاف اللغوي والتناوب ليست عشوائية أو تعسفية، لكنها وظيفة التواصل والتعبير. مثل تلك الإنجازات كانت بالفعل إتجاهات جديدة في علم اللغة الإجتماعي، فقد أظهر جمبرز كيف أن التعددية اللغوية والتحدث بأكثر من لغة/ أو لهجة كنماذج للأختلاف، ومع جدليتها

ومظهرها الحواري، تمثل نموذج نمطي أو حالة من التواصل الإنساني.

لعل تجربة جمبرز، تضع تصوره الخاص عن اللغة واستخداماتها في التواصل الاجتماعي، والتي تتناقض بوضوح مع الرؤية التقليدية والبنيوية التي تتصور اللغة مثالية ومعيارية ومتجانسة مع مجتمع الكلام، وصرامة مفهومه الجديد عن مجتمع الكلام، أن الحصيلة اللغوية واللغة الاجتماعية وتداول القواعد اللغوية، فأعضاء مجتمع الكلام نفسه ليسوا بالضرورة يتحدثون بنفس التنوع اللغوي. والشرط الوحيد كما يري Aldo di Luzio عند جمبرز، أن المتحدثين يملكون حصيلة لغوية مشتركة، لهذا يكون، كل مصادر اللغة والاستراتيجيات التواصلية تحت تصرفهم والقواعد لإستخدامها في تواصلهم، وهكذا تصور، عن تواتر وتشارك القواعد، والتي حددت بمستويات نماذجية مثالية وتوفيقية الانتقاء لوحدات من الحصيلة اللغوية في بناء المقولات. كما أنهم يحددون الشخصية الإسلوبية، من منطق الوحدات وفق **أهداف التواصل التفاعلي** (التشديد هنا من عند الباحثة)، بهذه الطريقة، التناقض الناجم من توزع الثنائية بين اللغة والكلام ، والتمكن اللغوي والأداء، بهذا التصور قد تم حلها.

بهذا لا تكون اللغة التي نعثر عليها في المعجم، أو النحو، تلك اللغة النموذجية، هي ما يعثر عليه في مجتمعات الكلام، بل هي لغة متفق عليها ومحددة باستراتيجيات تواصلية مشروطة بالسياق الذي تظهر فيه ووفق المتخاطبين أنفسهم وأهداف تواصلهم التفاعلية، والتنوع الفردي في عملية التواصل يفرض نفسه، بالرغم من الاشتراك في اللغة الواحدة، إلا أنه ليس بالضرورة أن تتوافر الكفاءة اللغوية في جميع أعضاء مجتمع الكلام الواحد، كل الذي يهم، ما يتم التوافق عليه بين المتخاطبين ليتم الهدف الأساس وهو **التواصل التفاعلي** نفسه، وليس قيمة الكلمات في حد ذاتها أو لذاتها كما توجد في الحصيلة اللغوية المعيارية التي نصادفها في المعجم.

لعل مثال بسيط، يطرحه جمبرز نفسه ليُبسِط ما يقصده من اللغوية الاجتماعية

التفاعلية، فهو يقترح مثال عن مجتمع كلام مكون من زميلتي عمل:

أ - هل ستمكثي هنا لعشرة دقائق؟

ب – هيا أذهبي وخذي استراحة، ويمكنك أن تأخذي وقت أطول لو شئتي.

أ - سأكون بالخارج في الرواق. نادني لو أحتجتني.

ب – حسنا، لا تقلقي.

المتحدثة(أ) تطرح سؤال والذي حسب معرفتنا بالإنجليزية الإجابة عنه تكون بـــ نعم، أو بـــ لا، حتي رد الشخصية(ب) يأخذ شكل أقتراح الذي لا يرتبط صراحة بعالم معرفتنا سؤال الشخصية (أ)، إن العلاقة بين المتحدثتان ستكون واضحة فقط لو أفترضنا الشخصية(ب) تشير ضمنيًا أو بشكل غير مباشر بالموافقة وذلك بالطريقة التي صاغت به إقتراحها، لكن؛ هذا يثير بعض التعقيدات عن طبيعة المعرفة المشتركة عند(أ) و(ب) في القدرة علي رؤية ما وراء المحتوي السطحي وفهم رسالة هكذا غير مباشرة، حيث لا توجد إشارة لتقدمة لغوية يبدو من المنطقي إفتراض أن(أ) و(ب) كلتاهن يعتمد علي فهم مشترك ذلك أن التفاعل في مكان مشترك في مكتب و كذلك علي توقعاتهم لما يحدث عادة في المكاتب، ذلك بكون، من المسلم به أن كل شركاء المكتب من العاملين، من المعتاد أخذ فترة وجيزة للراحة أثناء يوم العمل، وكذلك أعضاء العاملين يجب أن يكونوا متعاونين في التأكد من وجود أيًا من شخوصهم طوال الوقت، مثل هذه المرجعية كافتراض هي ما مكنت الشخصية(ب) من إفتراض أن الشخصية(أ) أغلب الظن أنها سألت سؤالها لأنها تريد أن تأخذ استراحتها، وتسعي للتأكد من أن غيابها لن يزعج الشخصية(ب) لهذا جاء رد الشخصية(أ) في الكلام الثالث الذي ألمحت فيه صراحة إلي نيتها الخروج لفترة، يؤكد مثل هذا التأويل أو(ب) حسنا لا تقلقي والتي يمكن أن تفهم بمطمئنة(أ) أن غيابها لا يسبب أي مشكلة، وبالتالي المتحاورون وبالاعتماد على الاستدلال المباشر، الذي إنبني على الخلفية

المفترضة عن السياق الكلام والأهداف التفاعلية والعلاقات الشخصية التي استمدت أطرها من الوصف الذي استطاعوا به تفسير ما يحدث. جمبرز يعتقد أن لفهم فرضية المخاطبة يجب مشاركة النظرية العامة لإستراتيجية الخطاب كما يجب أن تبتدأ بتعيين اللغوية والمعرفة السوسيو- ثقافية والتي يجب أن تكون متشتركة، إذ ما أُرِّيد للمحاورة المشتركة الإستمرار، وبعد هذا يكون الإنتقال للتعامل مع ما هي طبيعة المحادثة والاستدلال عن ما صنعته الثقافة والثقافة الفرعية وخصوصية الظرف التأويلي. (John J. Gumperz. 1999. 1. 2).

ويبقي في الأخير التعرض لمعالجة جمبرز لمسألة حضور المصطلح سوسسيولغوية Sociolinguistics في دراسة اللغة، يعرض جمبرز لمثل تلك الإشكالية في بحثه المشترك مع جيني كوك جمبرز ، تحت العنوان، «دراسة اللغة، والثقافة، والمجتمع: الأنثروبولجيا اللغوية أو الإجتماعية اللغوية؟». في العام ٢٠٠٨(John J. Gumperz. Jenny Cook-Gumperz. 2008)، هنا يضعان المفارقة، مستخدمين علامة الاستفهام في نهاية العنوان، وكذلك حرف العطف « أو»، وهو يطرح فكرة التفضيل بين المصطلحين، وهل يعنيان نفس المعني أم هناك ثمة فروق بينهم، فهما يجادلان حسب تعبيرهم بأن التقليدين الأنثرولغوية والسوسيولغوية نهج مترابط التاريخ، وهذا ينمي سؤال هل يجب رسم تمييز ما بين الأثنين في النهاية؟

كان ديل هايمز قد فرق بين التجربتين لدراسة اللغة في الأنثروبولوجيا اللغوية وعلم اللغة الإجتماعي وعلم اللغة نفسه في إصدار له عام ٧٣، وكذلك في العمل المشترك بين ديل هايمز وجمبرز ١٩٧٢، ومفادها ان هناك « دعوي تمايز للسوسيولغوية كحقل متمايز لأنه أوحي بأن هناك كل من المشكلات وأنواع البيانات اللغوية التي لم تدرس من قبل»، تعليق هايمز نشر في بدايات العام ١٩٧٠، مثل هذا الجدل حدد مستقبلاً تمييز صارم بين الحقول، وهذا لم يكن يعني أن نظريات علم اللغة هشة، لكن بدلًا عن ذلك، كان هناك مشاكل المناطق

ومجموعة من القضايا التي تغاضوا عنها في التحليل .يبدو تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية واضح وطويل ومعروف وهو بدأ مع الأنثروبولوجيا الأمريكية نفسها، في حين يبدو تاريخ السوسيولغوية قصير نسبيا إذ ما قورن بالأنثرولغوية، وتاريخ جمبرز العلمي ومنجزه تعلق أكثر بمصلح اللغوية الإجتماعية، ويبدو من عرضه أن تاريخ جمبرز واللغوية الإجتماعية يتلازمان، بدأ بعمله في موضوعه للدكتوراة في علم اللغة الجرماني ، وامتلاكه كذلك خبرة أنثروبولجية ميدانية في إنجاز عمله، كالمراقبة والمشاركة/ ومحادثة غير رسمية مع السكان المحليين، وإجراء مقابلات معمقة ، وقد ساعدته المنهجية الأنثربولوجية الميدانية في الكشف عن المتغيرات التي تمت لمدة مائة عام عند الجرمان، والتي عكست التغيرات بالانتقال لمناطق جديدة عمقت الانتماء والصداقات في الوطن الجديد، وحين عمل استاذ في جامعة كورنيل، وكانت علوم اللغة أكثر اهتمام بالوظيفية البنائية، وقبيل تشومسكي كان الانشغال بوصف اللغة والنحو هو الأساس في جامعة كورنيل، وكان هناك منحة من مؤسسة فورد لعمل بحث مقارن بين بعض المناطق، وقد جمع فيها عدد متنوع من التخصصات، مثل الأنثروبولوجيا وعلماء اللغة والسياسة والاقتصاد، والهدف كان بحث التنمية، وهذا أعطي فرصة للخروج من دائرة جامعة كورنيل ووجهة نظرها التربوية للغة، بلقاء الأنثربولوجيين والاجتماعيين بشكل يومي وتبادل الأفكار حول المشكلات الاجتماعية في الحياة اليومية نفسها، كما ساهم عمله الميداني في بعض القري في شمال الهند- وهو ماذكر في فقرة سابقة- جمع فيه جمبرز أدوات الجمع الميداني والتحليل البنيوي، وأتته الفرصة ليتعرض لأعمال «ج. ر. فيرث» وهو ما وفر له الفرصة للاطلاع على مساهمات من خارج الولايات المتحدة في موضوع اللغة، في دراسته التي أنجزها فترة عمله في جنوب آسيا، بكلية ديكان في بوني بالهند- - وكان نتيجته نشر بحث مشترك مع تحت العنوان: التنوع اللغوي بجنوب آسيا » ، والذي نشر في المجلة الدولية لعلم اللغات الأمريكية، وهو أول عدد خصص لمعالجة مسألة السوسيولغوية، وتأتي مساهمة الولايات المتحدة الامريكية في تنمية

مصطلح السوسيولغوية، بجمع تخصصات متنوعة في الأبحاث ذات الصلة بالتنمية الاقتصادية والمجتمعية، وإن كانت البداية مع انشاء جمعية الدراسات الآسيوية والذي أنشئ لجنة لغات جنوب آسيا عام ١٩٥٠، ومؤخرا في العام ١٩٦٠ مجلس البحوث الاجتماعية أسس لجنة اللغويات الاجتماعية وبدأت بأعضاء جمعية الدراسات الآسيوية، ومن هنا بدأ وجود المصطلح في الأدبيات المتنوعة. وهذا يتزامن مع ما حدث في بريطانيا وتم ذكره في فقرة سابقة من هذا الفصل.

الحلقة الأهم لمثل هذه الورقة في دراسة تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية، تلك الإنتقالة، من الانشغال في المدرسة الأنثروبولوجية الأمريكية للغة، من البحث في علاقة الثقافة باللغة، لبحث علاقة اللغة بالمجتمع، وفضلا عما قدمه جمبرز في الفقرة السابقة، يبدو للباحثة أن الأمر يرتبط بتاريخ الأنثربولوجيا العام، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وصعود التيار الماركسي، حتي في الولايات المتحدة، والذي شدد في أفكاره علي مفهوم الطبقة والصراع والسيرورة التاريخية، وأصبح استخدام مصطلح مجتمع يجد له مسوغ في الأنثربولوجيا الأمريكية ليحل به بعض مشكلاته في الفهم للثقافات التي جعلها موضوعه، فقد أصبح «المفهوم القائل بوجود مجتمع وثقافة مستقلين ذاتياً، منضبطين ذاتياً، يسجن الأنثروبولوجيا في حدود تعريفها الخاص...فليس خطأ، بالتالي، أن يقال أن الأنثربولوجيا هي إحدى بنات الإمبريالية. (**إريك وولف، ٢٠٠٤، ٤٣، ٤٤**) ليس هذا فقط كل ما لدي إريك وولف كنموذج يضاف الي من طالبوا بالتغيير ورأب الصدع ما بين المجتمع والثقافة في المدرسة الامريكية، فاعترافه بالدين لماركس ، ينسحب علي التجربة التاريخية للأنثربولوجيا وهو ما عرفه توماس إريكسون بعودة الماركسية (**توماس هيلاند إريكسن، ٢٠١٤، ٢٠١**)، والتي ظهرت مع ستينيات القرن الماضي.

هذا لم يكن غائب عن ما قدمة جمبرز، تحت عنوان فرعي عن مساهمة علم

اللهجات في علم اللغة الإجتماعي، يبين فضل إسهام وليام لابوف ، في حركة تاريخ دراسة علم اللغة الإجتماعي، بعنوان لكتابه « الطبقات الإجتماعية للغة الإنجليزية في مدينة نيويورك والذي صدر عام ١٩٦٠، والذي أعتبره «أسس تدريجيا وبقوة لظهور وتشكيل أبحاث علم اللغة الاجتماعي الولايات المتحدة الامريكية» . فهو يذكر وشريكته بعبارة واضحة، «في حقبة ما بعد الحرب، حينها أصبحنا متفهمين لدور التسلسلات الهرمية والطبقية الإجتماعية في تشكيل المكانة والقوة.

والحلقة الجدية التي يضيفها ديل هايمز لتاريخ الأنثروبولجيا اللغوية، هي التحول من الألسنية الأنثربولوجية إلي الإثنوجرافيا التواصلية ، فقد تم العدول عن المنهج القديم الذي انشغل بجمع اللغات الهندية خشية ضياعها مع حركة التغيير الثقافي في الولايات المتحدة، والتي أرسي قواعدها بواس وتلاميذه الأصدقاء، والتي عملت في مجالي اللغة والثقافة بالتوازي، كما تقدم في فقرات سابقة، وعملت علي الإحاطة بقواعد اللغة الغير مكتوبة وقضايا الترجمة عن هذه اللغات بقصد أعمال التبشير، لكن؛ مع ديل هايمز في دراسته عن الأساطير في ثقافات السكان الأصليين ، إستخدم مفهوم إثنوجرافيا الكلام باعتبارها بناء تحليلي ، والذي تم توسعته فيما بعد ليصبح إثنوجرافيا الإتصال ، وركز هذا المنظور الجديد علي كيفية عمل اللغة في الوثيقة الإثنوجرافية لحدث الكلام(*)، بدلاً من التركيز علي المجتمع الواسع والمعايير الثقافية والبنية اللغوية المستنبطة من الكلام، وإثنوجرافيا الإتصال قدمت تبصرة ذلك أن الثقافة في جوهرها تواصلية، تتشكل من خلال الكلام، وهكذا يمكن للأنثربوبولوجيين دراسة كيفية عمل

(*) هذا المصطلح او من استخدمه رومان جاكبسون ١٩٦٠، والذي يعني مستوي يتوسط التحليل للوصول لعملية تفسير دوافع المتشاركين في الأحداث، تُتخذ الأحداث لتكون وحدات لتحليلات في مصطلحات الممارسات التأويلة ليمكن دراستها بالتفصيل، وفي- نفس الوقت الأحداث أيضا تكون ذات قيمة منصهرة تلك التي كثيرا ما تدخل حيز المناقشات العام، مثل التعليق علي الاداء صناعة الخطاب speech making والخطب السياسية.

الثقافة عن طريق الملاحظة أو المشاركة في مجموعة متمايزة ثقافيا في الحدث الكلامي. هذا بدوره ساهم في الانتقال من البحث في المجتمع للبحث في الأفراد والهوية، فالأنثروبولوجيا اللغوية تعلقت بالنظرية النقدية، التي أسهمت بدورها في إعادة إنتاج النظرية الاجتماعية وإشتغالها بالمعاصرة والمسائل السياسية للمجتمعات، وظهر التأكيد علي موضوعيين رئيسيين الأول: التأكيد علي الهوية بدلا من المجتمع، والثاني: التركيز علي التحليلات السوسيولغوية مع الإهتمام بالبعد السياسي للغة في الحياة الاجتماعية.

وحقق ديل هايمز شهرة كبيرة، الي الحد الذي أصبح هناك بعض الممارسات التي تأثرت بصعود مفهومه وأصبحوا يعرفوا باسم الهايمزيين- الجدد وقد وجد طريقة للمدرسة الإنجليزية، خاصة في أعمال الأنثربولوجيا التطبيقية، واللغوية التطبيقية وعلم اجتماع اللغة، في مشاريع محو الأمية الكتابية، وقضايا التنمية المجتمعية والحضرية، وتم استخدامه من قبل علماء اللغة الاجتماعي أو علماء إجتماع اللغة، ولم يكن هناك مؤسسة واضحة للأنثروبولوجيا اللغوية في بريطانيا (Ben Rampton. 2007-594. 598)، وللباحثة؛ أن تتصور أن السبب في ذلك ربما يعود لإرتباط الأنثربولوجيا الإنجليزية بالأنثربولوجيا الاجتماعية. وإن كان مصطلح إثنوجرافيا الكلام قد أفسح لهم المجال بصلته بمفهوم الثقافة للأستفادة أكثر من اعتمادهم علي مفهوم اللغة نفسه ولنفسها، والثقافة لا تظهر في مجال دراسته بشكل رئيس بقدر ما هي معينة علي الفهم، وذلك بفضل عمل الإثنوغرافي وادواته كالملاحظة بالمشاركة، والتي تلعب دور رئيس، خاصة في حالات التعلم والتكيف الثقافي وعلاقته باللغة في واقع الحياة اليومي، وهي علي النقيض من علم اللغة الذي يسعي إلي الوصول الي بنية اللغة والاستخدام.

ويتحدد مفهوم إثنوجرافيا الكلام والذي وضع ديل هايمز حدوده منذ وقت مبكر في العام ١٩٦٤، في الإصدار الخاص لمجلة الأنثروبولوجيين الأمريكيين عن اللغة، وقدم فيه ما الفارق بين اللغة المعجمية وتلك اللتي تستخدم في الحياة

اليومية، معتمدًا علي الإقتباس من ، بأن أي كلمة أو جملة تحدث هي علي جانب كبير من التعقيد من جانب المتكلم، والجزء الأكبر منها يكتسبه من ثقافته التي يعيش وينشأ فيها، لكن؛ ومع كل حالة وحدث كلامي تتحول اللغة المكتسبة للتعبير عن ما لم يتم التعبير عنه في المواقف السابقة وفي كل التفاصيل الدقيقة، لتتناسب وتنوع الاحتياجات الانسانية، وهذا يطرح تحولات جديدة وعادات جديدة، وبعبارة آخري يقول تُنتج قواعد نحوية واستعمالات لغوية جديدة هذه الجملة التي يفتتح بها ديل هايمز عمله يؤسس بها لمشروعه الجديد عن الاثنوجرافيا اللغوية، ومعززًا لها بمقولة لـــ عن عمل الإثنوجرافيا في وصفها الكافي للثقافة والتي تفترض تحليلا مفصلا لنظم الاتصالات والمحددة بالمواقف الثقافية في جميع المواقف المتمايزة داخل مثل ذلك نظام، فهو يقول:

«إن الأقواس التي في العنوان والاقتباسين، هما لتوحي بالطرح العام لهذه الورقة، عنيت من ورائهم، أن أي نظرية لغوية أصيلة هي بالضرورة تحتاج لنظرية لما تمنحه الأفتراضات الاثنوجرافية، وهذا يعني، أن أي نظرية لغوية مستحقة لهذا المسمي ليست فقط عن النظم اللغوية، ولكن أيضا عن النظم الإثنولغوية- اللغوية العرقية-، عن الارتباط البيني بين خصائص النظم اللغوية (لكن بتصور محدود) من جهة، وخصائص مستخدميها وظروف استخدامها من جهة أخرى». . (Dell Hymes. 1964-6)

أنه يضع تصور جديد لعمل الانثربوبولوجيا اللغوية، بإنفتاحها على علم اللغة نفسه ونظرياته، وربما تجربة نعوم تشومسكي تحديدا في نظرته للنحو التوليدي، وذلك بكل الطبع في حدود الثقافة بمفهومها الأنثروبولوجي حسب تقديرات المدرسة الأمريكية، فـ ديل هايمز سعي وتحقق له ذلك، لإدماج ما تقدمة نظريات علم اللغة والأنثروبولوجيا اللغوية، وليس فقط في ضوء (أن إطار الحقل الثقافي يأتي من اللغة)، ولكن أيضًا بالنظر(أن إطار اللغة)، وحدد مطلبه: أنه حان الوقت للتحليل اللغوي أن يُتخذ كنقطة انطلاق بديلة لمجمل العادات التواصلية للوحدات التي لا تُعرف لغويا: المجتمع ، أو الشخصية ، أو الحدث أو سياق

الموقف ، ليحل تجانس النموذج كإطار مرجعي. ويأتي مطلبة الثاني أكثر ملائمة لردم الهوة بين التحليل اللغوي والتحليل الثقافي، من خلال توسعة التحليل اللغوي لفكرة تداعي الكلمات إلي شرائح أكبر، إلي قوالب من النصوص والكلام المعاد كجزء من الحصيلة التواصلية، والمترادفات التي تشكل ظاهرة مشتركة في أحداث الكلام، وهو أمر يساعد علي الالتفات لمهارات استخدام المتكلمين للغة، والتي تلحظ في سياقات الاستخدام.

إلساندرو دورنتي Alessandro Douranti :

هو الحلقة الأخيرة التي تعتمدها الباحثة في تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية، خاصة في الفصل والتمييز ما بين؛ تاريخ «الأنثروبولوجيا اللغوية» و«اللغوية الأنثروبولوجية» و«اللغوية الاجتماعية»، بوصفهم حقول معرفية متجاورة لكن؛ لكل منها تاريخها الخاص، فاذا ما كانت هناك رغبة حقيقية في وضع تاريخ واضح المعالم للأنثروبولوجيا اللغوية، لا شك أن التمييز ما بين الأنثروبولوجيا اللغوية واللغوية الأنثربولوجية سيكون ذا فائدة هنا، حيث «دورنتي» يؤكد علي أن «ديل هايمز» انتقل بدعوته الإثنوجرافية لدراسة اللغة مستخدما الاصطلاح مجتمعات الكلام، إلي بدء مرحلة جديدة في تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية، وأعتبرها ميلاد نموذج نظري جديد في علم اللغة، ويعتبره بهذا الإسهام نقطة فاصلة في تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية لتمييزها عن اللغوية الأنثروبولوجية والسوسيولغوية، وهو سؤال عن الفرق بينهم تكرر وتكرر مع «دورتني» في أكثر من مؤلف له، وكانت الباحثة اشارات الي ذلك في مقدمة هذا المبحث وصعوبات دراسة تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية(Alessandro Duranti. 2001. 2)(**إلساندرو دورنتي**: ٢٠١٣- ٢٠) وهي تفرقة مهمة في تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية، في الفقرة التي خصصها للتفرقة بين الأنثروبولوجيا اللغوية واللغوية الانثروبولوجية، يقتبس دورنتي من Teetrer: « هناك علم اللغة، هناك علم لغة في الأنثروبولوجيا، لكن لو أردنا أن يكون مصطلحاتنا لا لبس فيها وذات صلة فيما تشير إليه، ليس هناك

اللغوية الأنثروبولوجية»، تبدأ من عند «هايمز»مثل تلك الإلتباسات، في تأريخه للأنثروبولجيا اللغوية، فهو يضع في تصنيف الأنثروبولوجيين اللغويين، من لم يعرف نفسه كـــ أنثروبولوجي مختص في الأنثروبولوجيا اللغوية، مثل «ليفي شتراوس»، «مارسيل موس ، «أنطوان ميليت» و«روجر براون» و«ليونارد بلومفيلد» ،(بالترتيب، الثلاثة الأوائل أنثروبولوجيين إجتماعيين بالمدرسة الفرنسية، والرابع أمريكي تخصصة علم اللغة الاجتماعي، والأخير أمريكي في علم اللغة)، ومثل هذا القرار التحريري عند هايمز، ليس فقط إثبات تنوع الحقول البحثية والتخصصات ولكنه؛ إعادة صياغة الحقل (أو الحقل الفرعي) بالاعتماد على أي مشروع متضح المْعَلِم يعطي الانطباع: ١ - أهمية اللغات في فهم الثقافة والمجتمع، ٢ - أهمية الظاهرة الثقافية والاجتماعية لفهم اللغات، هنا ينتقد «دورنتي» تأريخ «ديل هايمز» بجلب مثل تلك المشروعات من خارج الحقل أنثروبولوجيا لغوية، ليضيف أنه بإمكانه استدعاء أسماء من عنده لا تقل أهمية وتأثير من حقول أخري مثل عالم اللغة «رومان جاكبسون» ، أو افرينج جوفمان عالم الإجتماع، ما الذي يخشاه دورنتي من تصنيف ديل هايمز لتاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية؟ هي غياب الرؤية المميزة التي تفصل ما بين بنية اللغة، وممارسة اللغة ما هي الرؤية المميزة؟ يطرح دورنتي هذا السؤال محاولاً الإجابة عنه، بالتمييز الدقيق ما بين ثلاث حقول، ترتبط ببعضها، ولكل منها تاريخه الخاص، الحقل الأول: هو الأنثروبولجيا اللغوية ، الحقل الثاني: اللغوية الأنثروبولوجية ، الحقل الثالث: والأخير الإجتماع اللغوي ، يبحث في المسميات كعتبة أولي في التمييز بين الحقول الثلاثة، ففي الخطاب الأكاديمي والعلمي المعاصر، المسمي أنثروبولوجيا لغوية تعايش مع عدد من الاسماء غالباً ما تفهم علي أنها مترادفات لنفس الفكرة، والأكثر شيوعًا هما اللغوية الأنثروبولجية واللغوية الاجتماعية (وفي المركز الثالث اللغوية الإثنية داخل الولايات المتحدة الأمريكية)، وهذا الغموض الدلالي ساعد علي بناء وربط مجتمع من العلماء بشكل فضفاض- وكثيرٌ منهم فُرز فكريا داخل حدود التخصصات كـــ لغوي

وأنثروبولوجي- هناك بعض الاختلافات التي ظهرت علي مر السنين، وفهم هذه الاختلافات تُعين في تحديد وضبط تلك المفاهيم».

يقول دورنتي: سواء كان هناك حقل يسمي «اللغوية الانثروبولوجية» أو لا، ليس هناك من شك بأن المصطلح أُعتبرت وظيفيا كمرادف للمصطلح «أنثروبولوجيا لغوية»، وبالأثنين داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية، وهكذا، علي سبيل المثال الطريقة التي استخدمها «وليم برايت» في سلسلة إصدارات أكسفور المعنونة بـ « دراسات أكسفور في اللغوية الأنثروبولوجية»، والتي أحتوت على كتب عنونت بموضوعات كلاسيكية في دراسة اللغة والثقافة مثل رمزية الصوت(Nuckolls. 1996) والرؤية النظرية الجديدة مثل الأيديولوجيات اللغوية، ... الشاهد من النظرة لمجمل الأعمال، كان المسمي التي اعتمدته السلسلة، هو دراسات أكسفور في اللغوية الأنثروبولوجية « والأمر يمكن أن يقال عن كتاب «وليم فولي» ، «مقدمة في اللغوية الانثروبولوجية»... والذي عرف اللغوية الانثروبولوجية بأنها فرع من علم اللغة، الذي يبدي اهتمام بدراسة اللغة في سياقها الثقافي والاجتماعي الواسع، ودورها في دعم وصياغة الممارسات الثقافية والبناء الاجتماعي، وبوضع مقولات «وليم فولي» في مواجهة مقولات «دورنتي» في تعريف الأنثروبولوجيا اللغوية، مع الوضع في الاعتبار؛ أن «وليم فولي» يري أن المجال الذي وصفه هو حقل فرعي في علم اللغة، في حين يراه « دورنتي» أحد فروع الأنثروبولوجيا، مثل هذا الاختلاف يمكن تفهمه من مجال عمل «فولي» في قسم علم اللغة في استراليا، وعمل « دورنتي» في قسم الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة، فاللغويين الأستراليين متأثرين بشدة بدأ من العام ١٩٧٠ وحتي العام ١٩٨٠ بالمدرسة الإنجليزية، والتي تعتبر اللغة أداة اجتماعية، وكان هدف عملهم الميداني عن سكان استراليا الأصليين، هو توفير مرجعية ورؤية شاملة للبنية اللغوية عندهم، هذا التراث الفكري الأسترالي تأثر وبشكل أقل مباشرة مما عرف في الولايات المتحدة بالثورة التشومسكية والتي أصبح لها أتباع منذ ١٩٦٠، والتي سعت وعولت علي فكرة النماذج المستقلة للنحو، وقللت من الأبعاد الثقافية والإجتماعية في اللغة

(Alessandro Duranti. 2001.3.)

هنا يقصد «دورنتي» حسب ما فهمت الباحثه، أن التشومسكية أوجدت فارق ما بين ما يسمية الأنثروبولوجيين اللغويين ومنهم ديل هايمز ودورنتي، اللغة النموذج تلك التي توجد في المعجم وكتابات علم اللغة عن اللغة الرسمية إن جاز التعبير، واللغة المحكية التي يستخدمها الإنسان في الحياة اليومية، لابد وتفرقة مثل تلك، التي خلصت اللغة المعيارية من علاقتها أو على الأقل تقلل من أهمية الثقافة والمجتمع كبعدين مؤثرين في اللغة- المعيارية بكل الطبع-، هو ما يجعل فكرة الأداء اللغوي موضوع الأنثروبولوجيين اللغويين، ويصبح الكلام لا اللغة هي محل الاهتمام.

لكن؛ من جهة أخري يبدو أن ثمة قرابة في طريقة عمل المدرسة الاسترالية على اللغة حسب ما قدم دورنتي وتأثرها بالمدرسة الانجليزية وتوثيق اللغة والبحث في نحوها، يبدو عملهم عند دورنتي قريب الشبه من تجربة الانثربولوجيين الأوائل في المدرسة الامريكية، في توثيق اللغات الهندية، علي يد بواس وكروبر وسابير وغيرهم في بدايات القرن العشرين، وكذلك مثل ما نجده عند المعاصرين مثل «وليام برايت» و« وليام فولي»، حيث كانت المنطلقات هي البعدين الثقافي والإجتماعي وأثره في اللغة، وهي مجموعة قد فكرت في نفسها بشكل مبدئي كـ لغويين، فليس بالمستغرب أن يأتي العام ١٩٥٠ لتصنف العديد من الموضوعات بالإسم اللغويات الأنثروبولوجية، وكانت إهتماماتهم الرئيسية:

١ - توثيق البينية النحوية للهنود الأمريكيين، أو أي لغة أصلية والغير مكتوبة، ٢- واعتبار اللغة تأخذ شكلها بتوسطها ما بين الأسطورة والتاريخ السردي، ٣- وأستخدام اللغة كنافذه في الثقافة (والتي فهمت كـ رُؤًي للعالم، أو النظر في الحياة) هذه الأهداف التي تم متابعتها من خلال دراسة المسميات والتصنيفات (للحيوانات، والنباتات، وأنواع الأمراض، ومصطلحات القرابة، ومصطلحات الألوان)، وهي المساحة التي في نهاية المطاف إنضوت تحت المسمي الدراسات

العرقية ، وهي العلاقة الوراثية بين اللغات، وكذلك أثر الثقافة في اللغة، أو أثر اللغة في الثقافة، أو في إصدار مختلف من النسبية اللغوية، وفوق كل هذا، من هدف التدريس نفسه، بعمل اللغويين داخل أقسام الأنثروبولوجيا في بدايات النصف الأول القرن العشرين، ورؤيتهم لمسؤوليتهم تجاه تعليم الطلبة من الأقسام الفرعية الأخري- خاصة الأنثروبولوجيا الثقافية- لإستخدام البيانات اللغوية بأبحاثهم، وقد كان هذا الهدف مسوغ لما أسماه فوجلين ، وهاريس اللغويين التقنيين

إن الانتقال من اللغويين التقنيين الذي وصفهم فوجلين وهاريس (١٩٥٢) بالهواة، والأنتقال من الحقل الفرعي الذي يخدم باقي الأنثروبولجيا لن يتم الاستقلال إلا عن طريق المشروعين اللذان هيئ له هويته الاحترافية علي يد «شارليز فيرجسون»، و« جون جمبرز» في العام ١٩٦٠، بالكشف والتحقيق في تباين اللهجات ولغة التواصل بجنوب آسيا(راجع الفقرة الخاصة بعمل جمبرز أعلاه)، وإعلان «ديل هايمز» عن إنثوجرافيا الكلام(١٩٦٢) والذي لاحقاً أعيد تسميته بـــ الإثنوجرافيا التواصلية(١٩٦٤)، وفي هذه السنوات «ديل هايمز» أقترح استخدام المسمي الأنثروبولوجيا اللغوية- من هنا نتفهم الجملة التي في مقدمة هذه الورقة «أنه ليس هناك موضوع أسمه الأنثروبولوجيا اللغوية» التي طرحها ديل هايمز، راجع الفقرة الخاصة بصعوبات التأريخ للانثروبولجيا اللغوية أعلاه- والذي استخدم لأول مرة عام ١٨٧٠ . ولكن؛ ليس بنفس المعني الذي يستخدمه الأنثروبولوجيين في منهج دراستهم اللغة.. والتمييز بين «الأنثروبولوجيا اللغوية» و«الاجتماعية اللغوية»، تظن الباحثة أن «دورنتي» ما قدمه لا يغير من المعني الذي قدم في الفقرة الخاصة بإسهام جون جمبرز، وهو ما تحصل للباحثة من مصادر أخري، ويتوافق في الكثير مع ما قدمه، ولتجنب التكرار يكتفي بالرجوع للفقرة أعلاه، وللمزيد عن دورنتي وعلاقة الحقلين راجع:(Alessandro (Duranti 2001. pp. 5-8

لا يخفي هنا أن بعرض تاريخ «الأنثروبولوجيا اللغوية» كما جاء في هذا الجزء المخصص له، أعلن عن تعقيدات كثيرة، وتداخل حقول ثلاث في تاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية، ما بين الأنثروبولوجيا- سواء الثقافية أو الاجتماعية- وعلم اللغة وعلم الاجتماع، إلي أن أصبح للعلم شكله وحدوده التي ظهرت عبر التحولات التاريخية التي تم عرضها، وهو ما يثير مشكلة حقيقية في الكتابات العربية عن الأنثروبولوجيا اللغوية ولا شك الغربية، ومدي توفيقها في الإلمام بحدود وتاريخ العلم نفسه، نعم الكتابات قليلة حد الندرة، لو أخذ بعين الاعتبار ذلك التميز الصارم الذي يبينه إلساندرو دورنتي. فهناك علي سبيل المثال مؤلف د. مها معاذ، تحت العنوان «الأنثروبولوجيا اللغوية»، هل ينضوي تحت مظلة الأنثروبولجيا اللغوية كما يعلن العنوان، فهو كتاب تعتبره مؤلفته: « مدخل نظري ومحاولة موضوعية تهدف في الأساس إلي تعريف القارئ والدارس بفرع من فروع علم الأنثروبولوجيا وهو الأنثروبولجيا اللغوية» (**مها محمد فوزي معاذ ٢٠٠٨، ٦**) يبدو الأمر صعب تحقيقه وتحققه في العمل، فمطالعة قائمة المحتويات لعمل في العام ٢٠٠٨ مازال يتسائل عن اللغة في حياتنا في ضوء مباحث اجتماعية ومباحث تنتمي لعلم اللغة العام، فنظرية البو- وو Bow- waw ونظرية البوه- االبوه Pooh- Pooh، أليست نظريات في علم اللغة العام، تلك اللغة التي لا يبحثها علم الأنثروبولجيا اللغوية، كما أشار «ديل هايمز» وأكد عليه «إلساندرو دورنتي»، كما ظهر ذلك حتي عند اللغوين مثل تشومسكي الذي أكد علي أن البنية اللغوية نفسها لا تتأثر بالعمقين الثقافي والاجتماعي، هل يبحث الأنثروبولوجيين اللغويين معني الألفاظ لذاتها، أم أن عملهم حدد منذ جمبرز ببحث اللغة في التفاعل الحياتي نفسه، **كيف يدرس الباحث اللغوي الأنثربولوجي اللغة** كما جاء في قائمة المحتويات- الفهرس-، وهو ليس خطأ مطبعي، تم تصويبه في المتن كيف يدرس الباحث الأنثربولجي اللغة؟ فالفقرة الاخيرة تبدأ: « والباحث **اللغوي الأنثربولوجي** ينبغي في دراسته أن يبتعد عن البحث في البناء الشكلي للغة في المستويات الصوتية والنحوية من غير أن ينظر إلي ثقافة الناطقين بها، فإذا رغب أن يكون وصفه متضمنا

المستوي الدلالي فعليه أن يستعين ببعض المعلومات الثقافية عن الجماعة التي يدرس لغتها، وعلي الأخص إذا أراد أن تكون تفسيراته لمعني الكلمات أكثر وضوحا»(الكلمات في اللون الأسود من عند الباحثة)، في ضوء تاريخ الأنثروبولجيا اللغوية الذي تم عرضه وبشكل محدود، تكشف أن الثقافة وليس بعضها هو ما يجب علي الباحث الإنشغال به، لكن يبقي السبب في ذلك الرأي هو الإقتباس من مؤلف في علم اللغة العام تأليف علي محمود أبوزيد.

أما عن اسباب نزول الباحث للعمل الميداني: « قد تأتي أيضا بسبب فقدان المواد المكتوبة عن بعض اللغات المختلفة، وخاصة اللغات البدائية ... ويتم ذلك من خلال زيارتهم في مواطنهم الخاصة، لذلك يجب أن يحصل علي مادته من الرواة اللغويين مباشرة ... والراوي اللغوي لا يعتبر مدرسا ولا لغويا ... والباحث تظهر هنا براعته في مدي نجاحه في مباشرة الرواة وكسب ثقتهم حتي يستطيع أن يتكلم الراوي بصورة طبيعية ... ويبدأ اللغوي في أخذ صيغ كلمات مفردة علي أنها مواد معجمية، وكلمات أخري بغرض وصفها الصوتي وعمل قوائم وتصريفات لأشكالها اللغوية» ، مثل تلك مقولات تنتمي لبدايات القرن العشرين كما يقول دورنتي في نقده لعمل «وليم فولي»، ويجعل مثل هذا المؤلف من الأنسب تصنيفه بـ اللغوية الأنثروبولوجية، وليس الأنثروبولوجيا اللغوية، لعل مصدر ذلك الخلط بين الحقول التي تنشغل باللغة كـ علم اللغة وعلم الاجتماع وأقلهم الأنثروبولوجيا، وعدم الوضوح على طول متن الكتاب، يتكشف بتفحص قائمة المراجع الخاصة بالدراسة، سواء العربية: من علي عبدالواحد وافي، إلي ابراهيم انيس، وأمين الخولي، ومحمود السعران مرورا بـ فندريس ج، ورالف بيلز...إلخ، فالذي يجمعهم علم اللغة، والاستثناء الأنثروبولوجي هو د. أحمد أبوزيد، في مقالتين له، الأولي بعنوان اللغة والحضارة، والثانية عن النصوص والإشارات، وقائمة المراجع الأجنبية توزعت ما بين موضوع الثقافة، والنظرية في الأنثروبولوجيا، وتاريخ اللغة، وعلم اللغة الاجتماعي، والمعني الاجتماعي للغة، واللغة في العالم الحديث، والتغير الاجتماعي، والثقافة البدائية لتايلور، كاسم

تجاور وتالكوت بارسونز وكلايد كلاكهون وبونفيلد وسوسير في درسه اللغوي بكل الطبع، ليس الأخير بوصفه مؤسس علم متمايز، ولكنه بوصف مصدر للأنثروبولوجيا اللغوية، وغابت أسماء لها من الشهرة في الأنثروبولجيا اللغوية، عن قائمة المراجع وكذلك العناوين لم تشمل أي عنوان مباشر أو غير مباشر في الأنثروبولوجيا اللغوية، القضية ليست رفاهية في المصطلحات بقدر ما هي ضرورة تفرضها التصنيفات والدقة العلمية قدر الإمكان.

٤- التوجهات النظرية لخطاب الحياة اليومية:

في ظل المعترك النظري ترى الباحثة إن مقولات الإطار النظري للبحث تكمن في عدد من النظريات المتداخلة والتي يرتبط بعضها باتجاهات المدارس اللغوية الحديثة والبعض الآخر باتجاهات مدارس الحياة اليومية وأيضا ما يرتبط منها باتجاهات مدارس الأنثربولوجية الثقافية وسوف تحاول الباحثة الدمج بين بعض النظريات وذلك في النهاية لمحاولة صياغة اطار النظري لدراستها.

أ- اتجاهات المدارس اللغوية الحديثة:

تتحكم الاصول الانطولوجية والابستمولوجيا فى تشكيل الاتجاهات اللغوية وتتحدد فى المدارس التالية:

١- المدرسة التاريخية: التى تعتمد بالأساس فى تفسيرها للغة على تتبع السببية التاريخية ومن ابرز روادها اوتوجيسبرسين والتي تؤول الى تفسير الظاهرة اللغوية بناء على اسباب تاريخية تتحدد فى دراسة أصل الكلمات وتطورها باعتبارها الوسيلة المفضلة التى تسعى الى تحقيقها الامر الذى يؤكد تأثر المدرسة التاريخية بنظرية النشوء والارتقاء التي كانت سائدة فى ذلك الوقت. (**منى السيد حافظ، ٢٠٠٩، ٣٥**)

٢- المدرسة البنيوية التركيبية: تُعرف « البنيوية » (Structuralism) كنظرية في الإنسانيات أو الدراسات الثقافية، ويمكن وصفها بشكل أكثر دقةً كمقاربة في

فروع المعرفة بصورة عامة، تستكشف العلاقات بين العناصر الجوهرية أو الرئيسية في اللغة والأدب والحقول الاخري التي تنسحب عليها «البني» و«الشبكات البنيوية» العقلية واللغوية والاجتماعية والثقافية العالية، ويقدم المعنى من خلال هذه الشبكات عن طريق شخص معين أو نظام معين أو ثقافة معين، لقد قدمت البنيوية تفسيرا للإنسان والثقافة بلغة سماها تشومسكى بنى عميقة وهذه البنى العميقة هى مبادئ غير واعية للعمل الوظيفى للعقل تحاول البنيوية اكتشافها فى الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع لتكشف عنها كأساس حقيقى لظاهرة الثقافة. (احمد القصير، ١٦٠، ٢٠١٢).

وظهرت البنيوية نتيجة أوضاع ثقافية محدده فى فرنسا ازدهرت بازدهارها وتراجعت بتراجعها وكانت قد ظهرت أكاديمياً لأول مرة في القرن التاسع عشر ثم عاودت الظهور في النصف الثاني من القرن العشرين حيث بدأت مجدداً كحقل اهتمام أكاديمي في حدود العام ١٩٥٨ وبلغت ذروتها في ستينيات هذا القرن وسبعينياته، وتطورت لتصبح المقاربة الأكثر شيوعاً في الحقول الأكاديمية المعنية بتحليل اللغة والثقافة والمجتمع، وتعد أعمال فرديناند دي سوسير التي تهتم بعلم اللغة، تُعتبر بشكل عام نقطة البداية لبنيوية القرن العشرين. وقد ظهر مصطلح « البنيوية » نفسه في أعمال العالم الأنثروبولوجي الفرنسي« كلود ليفي شتراوس» وتسبب في نشوء « الحركة البنيوية » في فرنسا، والتي حفزت أعمال مفكرين من أمثال ميشيل فوكو ولويس التوسير والمحلل النفسي «جان لاكان» بالإضافة إلى أعمال الماركسية البنيوية. غير أن كل أعضاء هذه الحركة انكروا كونهم جزءاً منها. (اديث كيروزيل، ١٩٨٦، ٥: ١٤)

ومفهوم البنية بالنسبه للغة هو الترابط المحكم القائم بين اجزاء اللغة الواحده بحيث تنتظم كل اشكال هذه اللغة وصورها سواء فى تركيب الاصوات او تركيب الجمل فالنظام الصوتى للغة لايتمثل فى مجموع الوحدات الصوتية المنعزلة وانما هو كل عضوى اعضاؤه هى العناصر او المكونات الصوتية وبنية هذا الكل تخضع

لقوانين لغوية وعلى ذلك فالنظر الى اللغة كنظام عضوى والعمل على كشف هذا النظام هو ما تدعو اليه البنيوية. (كريم زكى، ٢٠١٠)

والتحليل البنيوى يرمى الى تبيان تكون البنية اى مجموعة من العلاقات المميزة للغة مثلا او مجموعة المؤسسات المميزة للمجتمع بمعنى ان هذا المجموع يجب تحليله بوصفة تركيبة عشوائية مؤلفة من جملة عناصر. (خليل احمد خليل، ١٩٩٤، ٩٤)

وبموجب النظرية البنيوية في الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الاجتماعية، يتم تقديم المعنى ويعاد إنتاجه ضمن ثقافة ما من خلال ممارسات وظواهر ونشاطات مختلفة تؤدي عملها كنظام للتعبير و ثمّة ارتباط وثيق في البنيوية بين مفاهيم الواقع الاجتماعي والفردي واللاوعي إذ انها جميعاً تتألف من العلامات والشفرات والتقاليد نفسها، وتعمل وفق قوانين متشابهة. ان البنيوية تمكننا من قراءة النصوص وقراءة الثقافات معاً، فهي تقودنا الى ان نرى كل شيء «نصّياً من خلال العلامات، أي انه يتألف من علامات محكومة بتقاليد المعنى وتدار وفقاً لنمط من العلاقات، وعدت بهذا منهجا للدراسة اكثر من كونها مذهب فلسفيا جامدا فهى منهج يدرس العلاقات دون الاشياء بهدف فهمها والتحكم فيها واعادة ترتيبها واصلاحها وينأى هذا المنهج بالفكر البشرى عن محور الذات ويهتم الطابع اللغوى لكل ما ينتجه الفكر الانسانى ومن هنا امتدت البنيوية لتشمل بسلطتها كل المجالات المعرفية. (اميمه عبود، ١٩٩٣، ٨)

واهتم هذا التيار بتحليل اللغة من مستوى الجملة كوحده للتحليل الى مستوى تحليل الخطاب كله وترى البنيوية ان الكشف عن المعنى الكامن فى الخطابات الفكرية لن يتم الامن خلال التحليل الالسنى اللغوى بمعنى تحليل الفاظ الخطاب وما ورد فيه بغض النظر عن قائله فالتحليل البنيوى يستند على مفهوم مجمد للنص ويحاول انصار البنيوية اقناعنا ان مؤلف النص او قائله ميت لتأكيد معارضتهم لكل ما يجعل من الذات الانسانية مصدرا لمعنى النص. (ب برونل،

١٩٩٠، ١١١)

وقد حاولت الأطر النظرية لما بعد البنيوية ان تعمل على تفكيك النصوص وهو ما رفضه جيدنز فى نظريته البنيوية التركيبية او تشكل البنية او البنينة والتى اعادت الاعتبار للذات الانسانية فى فهم خطاب الحياة اليومية حيث استطاع ان يدنو من الواقع المعاش فإن جوهر التركيبية يتمثل فى اعادة انتاج مفهومي الزمان والمكان فى اطار وقلب الممارسة الاجتماعية. (انتونى جيدنز، ٢٠٠٦، ٢٧: ٢٩)

حيث يرى جيدنز ان البناء الاجتماعي يتشكل من خلال الممارسات اليومية للأفراد ومن ثم أفعالهم لذلك يعد مفهوم الممارسة مفهوما محوريا فى نظرية البنية فهو يرى ان نظريته هى نظرية حول الذات بوصفه كائنا فاعلا عاقلا تتحدد علاقته بالمجتمع من خلال ممارسات مستقلة ومفهوم الممارسة يشير الى ضروب السلوك والتفاعل التى ينتجها الفاعلون الاجتماعيون وهو يكشف عن الطريقة التى تتشكل بها الحياة الاجتماعية فهذه التفاعلات او الممارسات تنتج فى النهاية علاقة وطيدة بين الفرد والجماعة فالممارسات اليومية عندما تتحول الى ممارسات روتينية تصبح شائعة عند اغلبية السكان فإنها تبين او تتشكل فى نظم ومؤسسات. (احمد زايد، ١٩٩٦. ٦٨)

ويقصد جيدنز بمفهوم المؤسسات مجموعة الممارسات الاجتماعية التي تتم بشكل غير مؤقت والذي تم نحته من خلال عالم التاريخ بروديل والتي أسماها البقاء المستمر تلك التي تم تفعيلها من خلال أعضاء المجتمع وفي إطار النظرية التركيبية فإن كلمة بناء تشير إلي القواعد المنظمة والمستمرة أو الروتينية في النسق الاجتماعي والتي تتسم بوجود حقيقي وإن الخواص البنائية للمجتمع ودراسة التفسيرات التي أثيرت حول مفهوم المؤسسات وتطورها نجدها تركز علي وضعية هذه المؤسسات في تركيب الأنساق الاجتماعية وما يتصل بعمليات التدعيم أو الإحباط في الحياة الاجتماعية فضلا عن تكوين المعرفة لدى الفاعلين الاجتماعيين .إن الممارسات الاجتماعية هي التي تحدث باستمرار في الحياة

اليومية تلك التي تمثل خصائص بنائية للأنساق الاجتماعية ومن ثم تمثل قدرة الفاعلين الاجتماعين على الفعل بشكل مختلف أنه وفق ذلك يمكن أن نحدد المكونات الاساسية لهذه النظرية التي ترى أن الممارسات الاجتماعية تحدث بشكل متكرر أن أي بناء يتضمن كلا من الأبعاد والنتائج التي تحدث بشكل مستمر وبالتالي فهى تنطلق من خلال فكرة الفعل التى طورها «وينش» في إطار الأفعال الإنسانية أيضا من خلال فكرة الذاتية في النظرية الوظيفية وإذا كانت الأخيرة قد فشلت في التفاعل مع الفاعلين ككائنات ذات قدرة ولها قدر من المعرفة أما وينش فقد نجح في وضع هذه العوامل في موقع مركزى في اطار العلوم الاجتماعية وعلي الرغم من أنه لم يضع هذه العوامل بطريقة صحيحة إلا أنه يميل الي وضع المؤسسات كما صورها فتجنشتين المثل الأعلي له في خلفية تفسير السلوك الإنساني أى أنه يجعلها هامشية في التفسير. وبيد أن وينش قد سلك المسلك السابق وبالتالي فأنه من الهام أن نقف على الظروف غير المعروفة للفعل باعتبارها ركيزة اساسية في نظام معرفة وقدرة الاشخاص وبالتالي يرى جيدنز أن هناك ارتباط بين مشكلات الحياة اليومية والتطور الذي يطرأ علي المؤسسات.

ولهذا سوف تفيدنا النظرية من فهم الواقع الفردى ومدى ارتباطه بالواقع الاجتماعى وأيضاً تمكننا من تحليل وفهم النصوص وربطها بثقافتها وذلك وفق قوانين النظرية البنيوية.

٣- **المدرسة التوليدية:** وهى التى تعتمد على الانتاجية فى اللغة وابرز ممثليها نعوم تشومسكى وقد احدثت تغييرا جذريا فى عالم اللغويات فأوضحت بشكل يتسم بالتعقيد والدقة العلمية العلاقة بين النطاق الادراكى واللغة وأن دراسة اللغة هى دراسة العقل الانسانى وهى بذلك اولت اهتماما بالغا بالعمليات الذهنية القادرة على انتاج عدد غير محدود من الجمل دون التركيز على ما قيل بالفعل، كما اوضح تشومسكى ان للغة اكثر من مستوى تركيبى وان هناك مستوى سطحى واخر عميق وان هناك قواعد للتحويل من تركيب لآخر وان معرفة القواعد

تختلف عن عملية استخدامها وهذا ما اوضحته النظرية من خلال تعبيري الكفاءه والاداء وان اهتمام البحث اللغوى يجب ان يركز فقط على الكفاءه التى تعبر عن الوسائل المتوفرة لدى الذات المتكلمة لتعبر عن نفسها او عن معلوماتها اللغوية تجاه المعلومات اللغوية للسامع. (N.Chomsky.1986.95)

بالتالى دعت هذه المدرسة الى ضرورة الاهتمام بالأسس المتعمقة فى تفسير السلوكيات الخارجية وخاصة تللك العمليات الذهنية التى لديها القدرة على افراز كم هائل من المفردات والكلمات والعبارات بدلا من التركيز على ما قيل بالفعل اى انها اقرب ما تكون الى التأويل.

٤- المدرسة **التخاطبية**: وهى تعد الى حد كبير امتداد طبيعى لارهاصات المدرسة الوظيفية من خلال اخفاق النموذج التقليدى فى التخاطب من ناحية وتقديم تفسير واضح لعمليات التخاطب من ناحية اخرى ولعل من ابرز ممثليها هربرت جريس معنى هذا ان اسلوب التعامل مع اللغة يتحدد فى رفض عزل التخاطب عن السياقات الفعلية التى تستخدم فى اطارها اللغة وقصر وظائف اللغة على عملية الابلاغ فحسب وهو بذلك يؤكد على اهمية العوامل المنطقية والاصول التخاطبية والبنيوية المفسرة لاهذاف المتكلم وعلاقتها بالسياق العام وأسلوب الاستخدام. (منى السيد حافظ، ٢٠٠٩، ٣٦)

ب- اتجاهات مدارس سوسيولوجيا الحياة اليومية:

لعبت مجموعه من الروافد الفكرية الغربية أدوارا مهمة فى سوسيولوجيا الحياه اليومية الى جانب نقد علم الاجتماع المؤسسى فضلا عن كشف الاشكال المختلفة للضغوط التى يتعرض لها الانسان فى حياته اليومية والاثار التى يمكن ان تنتج عنها على المستوى المادى والاجتماعى والثقافى وتتحدد تلك الروافد فى المدارس التالية:

١- **مدرسة فرانكفورت**: عرفت احدى جماعات النقد الماركسى بمدرسة فرانكفورت وقد ازدهرت فى المانيا فى ثلاثينيات القرن العشرين وفى الولايات

المتحدة فى اربعينيات القرن نفسة ولقد ركز اعضاء هذه المدرسة من امثال هوركهايمر وأدرنو وماركيوز اهتمامهم على مايوصف بأنه مشاكل البنية الفوقية، وقد اسهمت اسهامات هامة فى دراسة الفرد فى علاقتة بالمجتمع الرأسمالى حيث تتمثل القضية الأساسية فى فكر هؤلاء فى ان التسلط فى المجتمع الصناعى لا ينشأ من خلال طبقة افقية معينة وانما يحدث بفعل قوة لا شخصية هى قوة العقلانية التكنولوجية. (أرثر ايزابرجر، ٢٠٠٣، ٨٣) انظر ايضا (هانى خميس، ٢٠٠٩)

وقد ادت هذه المدرسة دور كبير فى لفت الانتباه الى هموم الفرد ومشكلاته فى الحياه اليومية ونقد النظم والمؤسسات التى تكبل عالم الحياه اليومية للافراد وقد انطلق هبرماس من فرضيتين كانتا منبعا للاطار المعرفى لمدرسة فرانكفورت وهما انه يجب الاينفصل الفكر عن معضلات الحياه اليومية، ويجب ان يكون للفكر الفلسفى والاجتماعى دور نقدى او ان يتحول الى برنامج منهجى عقلى ونقدى ومن ثم كرس هبرماس اعماله لنقد هيمنه المؤسسات على الوعى الفردى والجماعى وسلبها لهذا الوعى وبالتالى ساهمت هذه المدرسة فى لفت الانظار الى عالم الحياه اليومية حتى وان كان هذا غير مباشرا لكنه كان متميزا. (احمد زايد، ١٩٩٢، ٥٦: ٥٧)

٢- **المدخل الفينومينولوجي**: تمثل اسهامات انصار الاتجاه الفينومينولوجى او الظاهراتى ركيزة اساسية فى تطوير سوسيولوجيا الحياه اليومية ويعتبر الفرد شوتز من اهم روادها وعرف شوتز عالم الحياة اليومية بأنه فيض مستمر من الفعل والخبرة بحيث لايفكر الفاعل فى هذه العملية الا نادرا، كذلك يرى ان عالم الحياة اليومية عالم مابين الذوات الانسانية فهو ليس حكرا على احد بل هو قسمة مشتركة بين الاخرين انه جمع من الفاعلين بينهم تفاعل مستمر حتى ان وجودهم يؤثر على تطور ذاتهم لذلم يصبح الواقع الاجتماعى حاصل جمع كل الاشياء ومجريات الامور التى تحدث داخل العالم الاجتماعى ويؤكد وصف شوتز لعالم الحياة على اهمية المعانى المشتركة اى يؤكد على فكرة ان العالم هو عالمنا نحن اى ملك لنا

وليس عالمى انا اى ملك لى فهو اى العالم مجتمع لغوى واحد يوجد من خلال الرموز المشتركة والمتبادلة بالتالى انه عالم اخذ معناه الاجتماعى عن طريق اللغة والقواعد والادوار والمكانات ولكنه عالم ثابت ومستقر. (**على عبد الرازق جلبى**، ٢٠٠٦، ١٦٦: ١٦٩)

وقد سعى التحليل الفينومينولوجى الى دراسة خبرة الحياة اليومية وعالم الحياة المعطى كما يتجسد من خلال تركيبات من المعرفة التى يتم تكوينها ونقلها اجتماعيا، كما ينظر للإنسان على أنه يمتلك عنصر المبادأه فى الفعل الاجتماعى لذلك يركز هذا الاتجاه على مبادئ النزعة الفردية والاتجاه النسبى، وافترض المنهج الفينومينولوجى ان المعرفة لاتنبع من مشاهداتنا الحسية ولكنها ترتبط بالمستويات الثورية الداخلية ومن ثم فإن المعرفة المرتبطة بالحياه الاجتماعية كامنه فى هذه الحياه ذاتها فالحياه اليومية للأفراد تحمل تصوراتها الخاصة وصياغتها الخاصة وعلى الباحث أن يعيد اكتشاف هذه الصياغات بشكل منظم وتكون مهمة الباحث الفينومينولوجى محاولة التعرف على الطريقة التى ينظم بها الأفراد عالمهم ويشكلون وعيهم ويعيشون حياه مشتركة وهو إذ يفعل ذلك لايدخل على تحليلاته أي تصورات مسبقة بل يستخلصها من تفاعل بحثى بين وعيه ووعى الآخرين. (سامية قدرى، ٢٠٠٦، ٣٧٣)

٣- المدخل الإثنوميثودولوجى:

صك هذا المصطلح عالم الاجتماع الاميريكى هارولد جارفينكل وهو يتكون من جزأين اثنو(Ethno) وهى تشير الى مخزون الفهم او المعرفة البديهية العامة المتاحة لأعضاء المجتمع والشق الثانى هو ميثودولوجى (Methodology) والذى يشير الى المناهج او الاستراتيجيات التى يستخدمها الفاعلين فى اطر مختلفة لكى يجعلوا من افعالهم افعال قابلة للفهم او بتعبير جارفينكل افعال مبررة وتسمح هذه الاستراتيجيات بتحقيق الاتصال الناجح خلال اشطة الحياة اليومية وهكذا فان الإثنوميثودولوجيا هى دراسة الاستراتيجيات التى يستخدمها

عوام الناس واحادهم للكى يفهموا ما يفعله الآخـرين وعلى وجه الخصـوص مـا يقوله الاخرين ومن هنا فإن تحليل الخطاب واللغة تحتل مكانـة مركزيـة فى اطـار هذا الاتجاه. (احمد زايد، ٢٠٠٢، ٣٧٥)

وقـد ظهـرت الإثنوميثودولوجيـــــــا إلى حيـز الوجـود كنتـاج للتفتـت الذي طرأ على علم الاجماع الارثوذوكسى فى علم الاجتماع الامريكى فى منتصـف الستينات اى نتيجة لتراجع اهمية الوظيفية كنظرية موجهه لعلم الاجتماع الامريكى وهـى تـنهض عـلى المزاوجـة مـا بـين اتجاهـات فلسـفية ذات مشـارب متنوعـة الفينومينولوجيا من ناحية وفيتنجشـتن وفلسـفة اللغـة مـن ناحيـة أخرى وبالتـالى تتمحور حول فكرتين مركزيتين هما الإشارية والتى تشير الى واقع انـه لـيس هنـاك شيء يمكن أن ننظر اليه باعتباره تعريف واضح وشامل لاى كلمه اومفهـوم فى اى لغة، والفكرة الثانية هى الانعكاسية والتى تشير إلى واقع أن فهمنا للنظام انما هو نتاج لعملية تخاطبية انه يتخلق من خلال الحديث بينما عاده ما نفكر بأنفسا وكأننا نصف نظاما موجودا مسبقا. (انتونى جيدنز، ٢٠٠٠، ١٢٧).

ويشير مصطلح الإثنوميثودولوجيـــــــا الى دراسـة الخصـائص العقلانيـة للتعبيرات الدالة اى المتعلقة بسياق معين وغيرها من الأفعال العملية وهـى تلـك التعبيرات والأفعال التي تشكل إنجازا مستمرا ومصاحبا للأنشطة المنظمة للحياة اليومية وقد اسـتفادت الإثنوميثودولوجيـــــــا مـن كـل مـن الأنثروبولوجيـا ووعلم الاجتماع وكذلك التحليل اللغوى اما ابرز منجزاتها العلمية فقـد تحققـت فى مجال تحليل المحادثة الشفوية. (شارلوت سميث، ١٩٩٢،٦٧)

وتهتم الإثنوميثودولوجيا بدراسة الواقع الروتيني اليـومي اى كـل مـا يحـدث بشكل عملي في الحياة من أنشطة ومواقـف واسـتدلالات سيسـولوجية باعتبارهـا موضوعات تخضع للدراسـة الامبريقيـة وهـى تـولى مـن هـذه الأنشـطة العاديـة الروتينية في الحياة اليومية نفس القدر مـن الاهتمـام الـذي توليـه للأحـداث غيـر العادية بهدف اثبات ان هذه الأنشطة العادية تستحق الدراسة كظواهر في حد ذاتها،

أيضا تركز الاثنوميثودولوجيا اهتمامها على البدء بدراسة الحياة اليومية باعتبارها فى حد ذاتها موضوعا للدراسة وان فهم هذه الحياة يجب ان يكون أساسا لكل البحوث والنظريات الاجتماعية، وترفض الاثنوميثودولوجيا الواقع الموضوعي الثابت للأبنية الاجتماعية كما ترفض اى افكار مسبقة عن طبيعة النظام الاجتماعي كما هو موجود على سبيل المثال فى علم الاجتماع الوظيفي، وتمثل اللغة عنصرا أساسيا في الإثنوميثودولوجيا استنادا الى الاعتقاد بأن لغة الحياة اليومية تعتبر عاملا رئيسيا فى تشكيل النظام بالمجتمع اذ ترى ان البناء والتصنيف اللغوى وكذلك الاساليب التى يتصل بها الافراد هي التي تؤدي الي ظهور النشاط الاجتماعي المنظم. (زينب شاهين، ١٩٨٧، ٩٠: ٩٣)

وبناء على ذلك تهتم الإثنوميثودولوجيا بدراسة اللغة اثناء الاستخدام فى المواقف المختلفة باعتباره موضوعا جديرا بالدراسة والملاحظة فى حد ذاته بدلا من كونه مصدرا فقط لدراسة الحياة الاجتماعية وتختلف نظرة الاثنوميثودولوجيا عن الاتجاهات الاخرى فى نظرتها للغة فى المجتمع اذ ترفض فكرة اللغة كنسق مستقل عن اى متكلم بالذات فهى تنظر للغة على اساس انها تحقق معنى خاص فى مجتمع معين وتسهم فى تعريف الموقف وتعبر عن حالة الفرد الفكرية وعن دوافعه واحاسيسة وبالتالى فالتعبيرات لايمكن ان تكون مفهومه لدي السامع إلا إذا عرف شيئا عن حياه المتحدث ومقاصده والظروف المحيطه به وسياق الحديث ومقدار التفاعل المتبادل بين المتحدث والمستمع وأيضا الزمان والمكان اللذين قيلت فيهما. (Zimmerman. D.H. 1978. 154)

بالتالى ترى الإثنوميثودولوجيا انه لابد من دراسة المواقف العملية فى الحياة اليومية بطريقة اجتماعية وكيف يستوعبها الافراد ويعرفونها ويتعاملون معها من وجه نظرهم هم وبالتالى يجب على الباحث ان يتجه نحو موضوع بحثه مستخدما نفس اللغة والأسلوب الذى يستخدمه الأفراد الذين يشكلون وينتجون هذه الظواهر فعلا حتى تتضح له نفس المعانى التى يسبغونها على واقعهم .(إرفنج

زايتلن، ١٩٩٣، ٣٠٥ :٣١٣) انظر أيضا (معن خليل، ٢٠٠٥، ٢٠١)

بالتالى فإن هـذه النظريـة لا تبعـد كثيـرا عـن أفكـار ومبـادئ الأنثروبولوجيـا المعرفية التي تهتم بفهم المعرفة والأفكار كما يتصورها ويعرفها الأفراد.

ج- نظريات الأنثروبولوجيا اللغوية:

تنظر الأنثروبولوجيا اللغويـة إلى اللغـة كونهـا أداة اجتماعيـة وإلى الكـلام كممارسة ثقافية ونشاط ثقافي يعتمد عـلى وجود معين في العالم ويـأتي بنفسـه إلى هذا الوجود وخطاب الحياة اليومية كمـا نعرفـه هـو الكـلام المتـداول في الحيـاة اليومية وفي ضوء هذا التعريف سوف ندرسه كممارسة ثقافية بالتالي خطاب الحياة اليومية مرتبط الأنثروبولوجيا اللغوية ارتباطاً وثيقاً.

وبما أن الأنثروبولوجيا اللغوية تعتبر اللغة عملا ثقافيا لذلك يتوجب علينـا أن نقوم بتعريف الثقافة والذي قد تعرض في السـنوات الأخيـرة إلي انتقـادات عديـدة لكونـه يشـكل فكـرة شـاملة(**تيـري ايجلتـون**،٢٠١٢ .٥١) تحـول التعقيـدات الاجتماعية التاريخية إلي سمات بسيطة تخفي التناقضات الاجتماعية التاريخية إلي سـمات بسـيطة تخفـي التناقضـات الأخلاقيـة والاجتماعيـة الموجـودة داخـل الجماعـات ويـرى كثيـر مـن علمـاء الاجتمـاع والأنـــــثروبولوجيين أن لمفهوم الثقافة علاقة قوية بالهيمنة الفكرية والعسـكرية (**راجـع: جيـرار لكلـرك، ١٩٩٠**) والسياسية للاستعمار الغربي تجاه بقية بلدان العالم ولذلك يجب الإشارة إلي أن هذا المصطلح به بعض المتناقضات المضللة مثل التمييـز بـين نحـن وهـم ومتحضر وبدائي وعقلاني وغير عقلاني ومثقف وأمـي (**تيـري ايجلتـون، ٤٢**) ... وغيره، والثقافة هي مـا يملكـه الآخـرون ومـا يجعلهـم ويبقـيهم مختلفـين وقـد استعمل الأوربيون مفهوم الثقافة في القرن التاسع عشـر لتفسـير تقاليـد الشـعوب التي غزوها واستولوا عليها في أفريقيا وأمريكا اللاتينية واستراليا، ويستعمل مفهوم اللغة اليوم لتفسير الصعوبات التي تواجههـا الأقليـات والجماعـات المهمشـة في

الانضمام والاندماج بالمجتمع العام فذلك يساعدنا على معرفة الدور الذي يلعبه الخطاب في انتاج وتشريع التهميش وبالتالي يساعدنا في فهم التشابهات والاختلافات بين الناس في العالم. (Bhabha. 1994. 221)

وقد أولت العديد من النظريات الثقافية التي قدمها الأنثروبولوجيون في القرن الماضي اهتماما خاصا باللغة ذلك لأنها تحدثت عن اللغة من وجه نظر أنثروبولوجية ومنها النظريات التي ربطت بين الثقافة والطبيعة حيث اعتبر الكثيرون أن الثقافة شيء نتعلمه ينقل إلينا من جيل الي اخر بواسطة التفاعلات التي تحدث وبالطبع بواسطة التبادل اللغوي وتستعمل هذه النظرية لتفسر ما يحدث للطفل وظهرت هذه الفكرة أكثر من خلال أعمال فرانس بواس والذي أوضح أن الأنثروبولوجيا دراسة لما يفعله الإنسان بواسطة فكره الحر والذي يميزه عن القوانين الطبيعية التي تسود جسده ووفقا لهذا المنظور فإن اللغة جزء من الثقافة وبالتحديد اللغات تصنف العالم الطبيعي والثقافي بطريقة مفيدة وهي تشكل أنظمة غنية تعطينا أفكار تسمح بمعرفة كيفية دراسة معتقدات وممارسات ثقافية معينة مما يفسر الاختلافات العديدة بين اللغات. (kissing.1974. 22)

وهناك من النظريات من ربط الثقافة بالمعرفة فإذا كانت الثقافة تكتسب إذا يمكن أن نفكر بها كنوع من معرفتنا للعالم هذا لا يعني فقط أن على أعضاء ثقافة ما أن يلموا بمعلومات معينة وأن يشاركوا في نفس النمط الفكري وطرق فهم العالم وبالتالي فالثقافة ليست ظاهرة مادية فهي لا تتشكل من أشياء وتصرفات ومشاعر بل هى تنظم كل ذلك فما يوجد في فكر الناس هو بالأحرى أشكال الأشياء ونماذج إدراكها ووفقا لهذا فهناك تماثل لغوي أي أن معرفة الثقافة تشبه معرفة اللغة وبالتالي فإن وصف ثقافة ما هو كوصف لغة ما وفي هذه الحالة تعتبر اللغة مجموعة من الجمل لما يعرفه المتكلم، وقد اعتمد الانثروبولوجيون الادراكيون علي معرفة الأصناف اللغوية والعلاقات بينها كي يبرهنوا ان قسما من الثقافة يعني بالمشاركة في المعرفة التعبيرية وقواعد الاستنتاج الضرورية لفهم ما إذا كانت جمل

معينة صحيحة أم لا وقد تخلي العلماء مؤخرا في أعمالهم المخصصة للثقافة والإدراك عن سعيهم إلي إيجاد قواعد ثقافية تتبع نموذج القواعد اللغوية واستبدلوها بنماذج يعتبروها أكثر استقلالا عن الشكلية اللغوية والتحليل اللغوي. (Ortner. 1984. 50)

وقد أوضحت النظريات المعرفية أيضا ان الثقافة كمعرفة موزعة في المجتمع فكيفية تفكير الناس في حياتهم اليومية وجهه نظر مختلفة عن الثقافة كمعرفة فهي ليست شيء يوجد فقط في العقل والجسم وهي لا توجد في عقل الفرد وحده بل أيضا في الأدوات التي يستعملها الفرد والبيئة وفي العمل الجماعي وفي المنظمات التي تنظم أدوار وتبدلات الأفراد وتؤثر فكرة انتشار المعرفة المتعددة علي نظرتنا للانتماء إلي ثقافة ما، مثلا يعتبر الغرب عادة أن كل الذين ينتمون إلي ثقافة معينة يملكون نفس المعرفة، يملك الناس الذين ينتمون إلي أماكن مختلفة من البلاد أو عائلات مختلفة من الجالية الواحدة أو أحيانا حتي أفراد من نفس العائلة أفكار مختلفة تماما عن المعتقدات الثقافية الأساسية كماهية ووجود الله وخبرات مختلفة في الممارسات الثقافية اليومية كالطبخ والأكل واستراتيجيات مختلفة في تحليل الأوضاع وحل الإشكاليات وأكد سابير علي هذه الخصوصية الثقافية فكل فرد يمثل فعليا ثقافة فرعية واحده على الأقل يمكن عزلها عن ثقافة المجموعة التي ينتمي إليها والممارسات اللغوية تشجع على تأسيس رؤية متجانسة للثقافة فتزودنا اللغات بفئات ورؤيات عامة نتقبلها من دون جدل. (Sapir. 1949.59)

وهناك النظريات الثقافية التي ربطت بين اللغة والتواصل فالقول بأن الثقافة تواصل أي نظام رموز وهذا ما يقوله علم الدلالة فهي تمثل المجتمع من خلال القصص والأساطير والتفاصيل والنظريات والأمثال وقد أوضحت أعمال ليفي ستراوس هذا المعنى حيث برزت في استخدامه لمفاهيم وجدها في النظريات اللغوية لتفسير الصلات بين الفئات الثقافية المختلفة، أيضًا اعتبر جيرتز الثقافة تواصلا ولكنه بعكس ليفي ستراوس لا يعد الاختلافات الثقافية كتنوعات لنفس

قدرة الإنسان غير الواعية للفكر المجرد فلا يسعى جيرتز لفهم التشابهات الضمنية بين الثقافات بل يسعى إلى تأسيس منهج يدرس عمليه التفسير غير المتناهية التي تميز تجربة الإنسان (Geertz. 1973. 5)

ويعني هذا التفكير أن أشكال التواصل (العبارات اللغوية والعلامات المرسومة والإيماءات والأداء المباشر) هي وسائط لممارسات ثقافية مثلا من الذي يوجه إليه الكلام أو علاقة القرابة الاجتماعية بين السامع والمتكلم كل هذه الدلالات تساعدنا في الفهم. كما أوضحت أيضّ الكتابات الكثيرة عن الاستعارات اللغوية طريقة أخرى ينظر من خلالها إلى الثقافة كشيء ننقله باستخدام الأشكال اللغوية أي التواصل بالرغم من أن من يهتم بدراسة الاستعارات اللغوية هم الأنثروبولوجيين الذين لديهم رؤية إدراكية للثقافة. (Keesing. 1974).

وهناك النظريات الثقافية التي ترى اللغة كنظام وساطة فهي تعد الأدوات التي تقوم بدور الوسيط بين الأفراد فهي كما ترة أن الثقافة تتضمن الأشياء المادية وأيضا الأشياء التصورية كالمعتقدات والقواعد اللغوية وتشكل البنيات المادية والتصورية معا أدوات تتوسط بين البشر وعالمهم بالتالي فاللغة هي نظام تصنيف فهي تسلم بأن العبارات اللغوية تسمح لنا بالتصور والتفكير بالوقائع وتعطينا في الوقت نفسه وسائل لتبادل الأفكار مع الآخرين ولكنها تعتبر أيضا أن العبارات اللغوية لا تقتصر على تصوير الواقع الخارجي بل تنتمي الي هذا الواقع نفسه وإلي الأدوات العملية الموجودة في العالم كون اللغة عملا وساطيا يعني أنها أداه للقيام بأعمال عده في العالم فهي تغير الواقع وتحافظ على دوام التغيير. (دورانتى، ٢٠١٣، ٨١)

النظريات الثقافية التي اعتبرت اللغة نظام من الممارسات وهي تعود في جذورها الفكرية إلي الحركة الفكرية المسماة ما بعد البنيوية والتي بدأت في فرنسا مع كتابات لاكان وفوكو ودريدا حيث تأثروا بفلسفة هايدجر وتعد نظرية

الممارسة خير مثال لنموذج ما بعد البنيوية قد بنيت علة بعض مبادئ هايدجر عن الجذور الوجودية لمعرفة الإنسان وفهمه للعالم الحي وفيها شدد علماء الاجتماع من أمثال بورديو علي أهمية اللغة ليس كنظام مستقل كما يعتقده البنيويون تحدده العمليات الاجتماعية السياسية الناشطة أخذا فى اعتباره الظروف الاجتماعية التي تسمح بوجود اللغة، واللغة تشكل نظام من الممارسات التي تتضمن ليس فقط نظاما من الكلمات والقواعد اللغوية ولكن يضّاأ كفاحا منسيا أو مخفيا يخص القوة الرمزية لطريقة معينة في التداول ترافقها انظمة تصنيف معينة اشكال وكلام وإشارات ومعاجم واستعارات معينة وتتضمن الأفعال الكلامية اليومية بدورها الأنظمة اللغوية كما ترتبها وتعطيها معانيها مؤسسات معينة كالمدارس والعائلة وأماكن العمل ولهذه الأفكار أهميتها إذ أنها ترتبط بين الأعمال الفردية وإطارات مرجعية أكبر منها . (Duranti.1997.116)

النظريات الثقافية التي اهتمت باللغة كنظام مشاركة وهى تتعلق بفكرة الثقافة كنظام اشتراك وترتكز علي افتراض أن كل الأعمال التي نقوم بها في العالم بما في ذلك التبادل الكلامي هي ذات صفة اجتماعية وتعطينا فكرة عن كيفية استخدام اللغة فعليا فالتكلم بلغة ما يعني المقدرة علي الاشتراك في التفاعل مع عالم أكبر من الفرد المتكلم مما يمكننا من أن نراه أو نلمسه في موضع معين حيث تحتوي الكلمات علي إمكانيات عديدة تسمح لنا بخلق صلات مع الناس والوقائع والأحداث والأعمال والمعتقدات والمشاعر ويعود ذلك إلي قدرة اللغة علي وصف العالم وعلى إيجاد صلات بيننا وبين سكانه وفتراته والأشياء والأماكن فيه وهى تؤكد بذلك وجود بعد اجتماعي تاريخي للغة وهكذا تكون دلالية اللغة قسما لا يتجزأ من كل فعل كلامي يقضي بالاشتراك في جماعة كلامية. (اليساندرو، ٢٠١٣، ٨٦)

ورغم الاختلافات النظرية حول العديد من المفاهيم والقضايا المرتبطة ببحثنا سوف تحاول الدراسة الاستفادة من النظرية البنيوية والنظرية

الإثنوميثودولوجيـــــــــة وذلك لعلاقتهما الوطيدة بعلم الأنثروبولوجيا اللغوية وبخطاب الحياة اليومية كما أوضحنا من قبل وهذا ما سوف تحدده الدراسة من خلال اقتراح **مدخل نظري يتضح في الأطر التالية:**

١- تحمل الحياة اليومية خطابها الخاص المختلف عن الخطاب الرسمي في المجتمع، ويعني ذلك أن الحياة اليومية لها منطقها الخاص وهو منطق معرفي، فالحياة اليومية وعاء لتخزين المعرفة والمعلومات بغض النظر عن دقة أو عقلانية هذه المعرفة. كما أنها وعاء لتخزين الوعي اليومي بغض النظر أيضاً عن نوعية وطريقة الظهور وشروط ظهوره وللحياة اليومية خطابها، بمعنى آخر هو أن الكلام اليومي بين الأفراد في حياتهم اليومية يحمل معنى هذا الخطاب وخصائصه فالأفراد في حياتهم اليومية عندما يتبادلون وجهات النظر أو يسلكون سلوكاً معيناً فإنهم يعبرون عن موقف خاص بهم ووجهة نظر معينة.

٢- الحياة اليومية هي الوسط المعيشي والثقافي الذي يرتبط بوجود الفرد، هي حالة الوجود المتعين أو الوجود كما هو، كحالة الوجود التى لا تحدها حدود نظامية أو تنظيمية وتتضمن حالة الوجود الفوري هذه عدة مكونات، منها العنصر المادي الذي يحدد الوسط المعيشي الذي يعيش الأفراد داخله، والعنصر الثقافي الذي ينظم هذا الوسط المعيشي، أي أنه ينظم عمليات التبادل المادي والثقافي في الوسط المعيشي، كما يضم المظاهر العديدة لممارسة القوة التى تخلق للحياة اليومية بنائها الخاص بها.(**أحمد زايد، ٢٠٠٣، ٧٤**)

٣- تحمل الحياة اليومية خطابها الخاص المختلف عن الخطاب الرسمي في المجتمع، ويعني ذلك أن الحياة اليومية لها منطقها الخاص وهو منطق معرفي، فالحياة اليومية وعاء لتخزين المعرفة والمعلومات بغض النظر عن دقة أو عقلانية هذه المعرفة. كما أنها وعاء لتخزين الوعي اليومي بغض النظر أيضاً عن نوعية وطريقة الظهور وشروط ظهوره. وللحياة اليومية خطابها، بمعنى آخر هو أن الكلام اليومي بين الأفراد في حياتهم اليومية يحمل معنى هذا الخطاب وخصائصه فالأفراد في

حياتهم اليومية عندما يتبادلون وجهات النظر أو يسلكون سلوكاً معيناً فإنهم يعبرون عن موقف خاص بهم ووجهة نظر معينة.(منى السيد حافظ، ٢٠٠٩، ٢٥)

٤- الأنشطة اللغوية هي مفتاح فهم العالم المشترك، فاللغة اليومية والمحادثات تحتوي دائما على مميزات خلفية الحياة اليومية وبنيتها الرسمية. وللغة أهمية كبرى في فهم الحوارات والتفاعلات، فاللغة هي التي تؤدي إلى ظهور نشاط اجتماعي منظم كما أن الاهتمام باللغة يدور حول تحليل التفاعل لتحديد الطرق التي تشكل استخدام اللغة من جهة، وكيفية تشكيل ما يبدو منظما في الحياة اليومية عن طريق هذه اللغة من جهة أخرى.

٥- أضحت السياسة أصبحت جزء لا يتجزأ من خطاب الحياة اليومية للشباب في مصر وتونس وهى تشمل جزء من بناء واسع ومتغير تشكله محددات بنائية أوسع نطاقا وأكثر تغيرا.

٦- أصبح خطاب الحياة اليومية للشباب نصا له معنى ودلالات معينة لدى تلك الفئات من الشباب مما يوجب علينا قراءته وتأويله واستنباطه شأنه في ذلك شأن النص المكتوب.

٧- أن خطاب الحياة اليومية يعكس الظروف والأوضاع المجتمعية التي يعيشها الشباب وما فيها من علاقات متناقضة بين الرفض والخضوع والمقاومة... خإل

٨- أن خطاب الحياة اليومية بين الشباب يتضمن نقد لأوضاع البلاد ودور الدولة ومؤسساتها المختلفة في ممارسة القوة والقهر وعدم تلبية احتياجات الشباب.

٩- إن خطاب الحياة اليومية للشباب خطاب خاص بهم يحوى معاني ومفاهيم وخصائص معينة.

الخلاصة:

لا شك وأنه مقارنه بتاريخ علوم أخرى يبدو تاريخا ،قصيرا وتراثه الأدبي ليس بذلك التراكم الذي قد نجده في علوم ،أخرى وهذا ليس حال الأنثروبولوجيا اللغوية ولكنه ينسحب على التجربة الأنثربولوجية في تنوع تخصصاتها، إلا أنه تاريخ يحمل من التعقيد والكثافة والتحولات ما يجعل أي محاولة لكتابته محفوفة بمخاطر الانزلاق في الاختزال أو الترهل، وكلاهما يشوهان الحقيقة. حاولت الباحثة أن تقدم في هذا الفصل دراسة لتاريخ الأنثروبولوجيا اللغوية، في الحدود الضيقة، لأنه ليس موضوعا جوهريت للعمل، بقدر ما هو موضوع يفتح المجال أمام القارئ ليضع العمل في مجمله داخل السياق المعرفي الذي ينتمي له، وكذلك السياق التاريخي للعلم نفسه.

تبدأ الأنثروبولوجيا اللغوية كما بين هذا الفصل موزعة ما بين الممارسة الأوروبية والأمريكية، في حقلي الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية، ولعل انشغال انثروبولوجي أوربا الاجتماعيين، ومع قلة عددهم، جعل اللغة كموضوع تاتي متأخره في جدول الاولويات العلمية، مما جعلها لا تظهر إلا قرابة العام ١٩٦٠ كموضوع محدد وواضح المعالم، وأخذ المسمي الاجتماعية اللغوية.

على العكس، في المدرسة الأمريكية، ومنذ لحظة التاسيس لعلم الأنثروبولوجيا، كان هناك فرع مخصص لدراسة اللغة، وتعلق المدرسة الأمريكية بالمصطلح ثقافة، جعلها تقطع أشواط كبيرة في موضوع الأنثروبولوجيا اللغوية، ما بين المؤسسين بواس وتلاميذه كروبر وسابير، وضعت اللبنة الأولى للحقل المعرفين وتعلق أكثر ما تعلق بتداخله مع مفهوم الثقافة، بعد تخليصه من مفاهيم التفوق العرق والتطورية، واعتماد المنهج التاريخي والانتشاري في دراسة اللغة أنثروبولوجيا، لم يكونوا بأي حال بمعزل عن درس علم اللغة والفيلولوجيا التي توافقوا معها في المنهج التاريخي، ورفضوها موضوعها اللغة المكتوبة الوثائقية